السنة الثانية　　　العدد ٦　　　١٥ اذار سنة ١٨٩٩

المشرق

آباء الكنيسة وشيع الهراطقة

للاب البار كندابين اليسوعي

قد اجمع كلُّ علماء الدين انَّ لكنيسة المسيح خواصَّ تميّزها عمَّا سواها من شيع الخوارج وتستلفت اليها ابصار كلّ الامم المتسكّمين في ظلال الموت. ولا شكَّ في انَّ الوحدة من اخصّ هذه العلامات المفرزة للكنيسة الحقيقيَّة التي طالما افتخرت بها بازاء الكنائس المنفصلة والبدع المستحدثة. كيف لا وبهذه الوحدة تلوح للعيان متانة ذلك البنيان المرصوص الذي شيَّدهُ ابن الله على الارض كما انهُ يظهر بها تناسب جميع أجزائهِ ويُستدَلّ على حسن هندامهِ

وهذه الصفة الفريدة التي تحلّى بها جيد بيعة المسيح تزيد في بهائها اذا ما اعتبرتَ حالة الهرطقات وتحقّقتَ ما هي عليهِ هذه النِحَل من تفرّق الكلمة وتشتُّت الآراء واضطراب العقائد. فالحقّ يقال انَّ تعاليمها تتناقض وتتنافى ويتقلب اصحابها مع الرياح (افس ٤ : ١٤) فينكر زيد ما اثبتهُ عمرو. وربَّما تنقَّل الشخص الواحد من تعليم الى آخر فيُفتي بالايجاب بعد ان قرَّ رأيهُ على السَّلب

وكفى بزعماء الاصلاح الموهوم شاهدًا على قولنا السابق. فانَّهم ما كادوا يشقُّون عصا الطاعة للكنيسة منذ ثلثمائة سنة ونيِّف حتى تضاربت آراؤهم وتناقضت تعاليمهم فاصبح كلُّ واحدٍ منهم ولسان حالهِ يقول:

انا ابو قلمون　　　مع كلّ لونٍ اكون

هذه الاختلافات في التعليم قد أُشحنت بها تآليف البروتستانت الاوَّلين

فجاهروا بها ولم يجاروا عنها. ومما يُروَى عن مانكترن من أنصارهم انهُ غيَّر تعليمهُ في تحرير الخاطئ اربع عشرة مرَّة. وقس على ذلك بقيَّة كبار المصلحين

وليست هذه التقلبات مما يُعزى للضعف البشري فيُضرَب عنهُ صفحاً بل انهُ لمبدأ جرت عليهِ هذه الشيع الجديدة فسندت اليهِ مزاعمها وبنت على الرمل بنايتها المتداعية أفلا تسمعها مثلاً وهي تردّد قولها انَّ الكتاب المقدَّس هو وحدهُ دستور الايمان لانَّ الكنيسة قد ضلَّت في عقائدها وافسدت تعاليم المخلّص مع ان هذه الشيَع تسلّم بصحَّة الكتاب المقدَّس وهي لا ترى انَّ في فعلها لتناقضاً لأنها بنت ايمانها على كتاب استلمتهُ من كنيسةٍ نسبتها الى الضلال والفساد. فيا ليت شعري كيف اعلم انَّ الكنيسة لم تزوّر هذا الكتاب وتحرّفهُ كما زيَّفت بقيَّة تعاليمها ؟ ولذلك كان القديس اوغسينوس نفسهُ يقول: « لولا الكنيسة لما آمنتُ بالانجيل »

ومن تناقض هذه النحل المستحدثة انها تريد اصلاح الكنيسة البابويَّة دون ان تبالي باحوال هذه الكنيسة لمَّا كانت تسير سابقاً على زعمهم في جادَّة الصواب. ولا بُدَّ لهذا الاصلاح من درس تآليف الآباء الاوَّلين الذين حفظوا وديعة التعاليم الرسوليَّة كما وردت اليهم متسلسلةً بتقليدٍ متواتر. بيدَ انَّ هؤلاء المصلحين لم يرضوا بمطالعة هذه الآثار القديمة بل نبذوها نبذ النواة وزعموا انَّ اصلاح الكنيسة يتمُّ باتّباع آرائهم الخاصَّة مع قطع النظر عن كلّ تقليد سابق. وذلك كما لا يخفى عين التناقض

وغاية ما اقصد في هذه العجالة ان ابيّن للقرّاء الشرقيين كيف استهان زعماء الشيع الحديثة بأولائك الملافنة الافاضل الذين نعدُّهم كبدور لامعة بل كشموس ساطعة تلألأت انوارها في سماء الكنيسة فبخسوا حقّهم واهتضموا شأنهم. ثمَّ أبحث عن السبب الذي حمل هؤلاء المتشدّقين على ان يزروا بالآباء الاقدمين و يضعوا من قدرهم

١

اذا تصفَّحنا ما نشرَهُ أئمة الاصلاح الموهوم من التآليف العديدة ليثبتوا فيها بدعهم وجدناهم لا يتّفقون سوى في امرٍ واحد وهو تحامُلهم على آباء الكنيسة الاقدمين. واوَّل من نزل ميدان القذف والطعن عليهم لوثار كبيرهم. فاسمع ما حرَّر في بعضهم ونستميح من القرّاء عذراً في تدوين هذه الشتائم على صفحات المجلّة قال: « اني أعدّ القديس هيرونيمس كهرطوقيّ لم يكتب غير الخرافات في امر الصوم والبتوليَّة. وأعتبرُ

القديس ايريناوس كجدف لا كمأنان. وليس القديس يوحنَّا فم الذهب سوى رجل متغطرس متكبّر. ولا تساوي اعمال القديس باسيليوس فلسًا واحدًا. امَّا القديس اوغسطينُس فهو كثير الاغلاط لا يُركن اليهِ في شيء .... ليس لهُ ايمان صادق ». فبهذه المذام وأشباهها يعيّر لوتار من افتخر الزمان بفضلهم وطالما ترع الى مثلهم ولكن

هيهات لا يأتي الزمان بمثلهم   انَّ الزمانَ بمثلهم لبخيلُ

ولو اردنا حصر هذه المسبَّات البذيئة التي قرَّع بها ذلك الراهب الخالع العذار أئمة ديننا لضاقت عن حصرها هذه الاطراس وطنَّت آذاننا من دويّ تلك الارجاس التي نعت بها جميع كتبة الكنيسة الاجلاَّء كتيرتليانُس وغريغوريوس اللاهوتي واوريجانس وامبروسيوس وغيرهم بينا كان يصف نفسهُ بصفات مدح يأنف عنها كلّ صاحب ذوق سليم وكان اصحابهُ يدعونهُ بوضاءِ « انجيلياً وأحد الرُسل العظام وبولس آخر وايليًّا الثاني وبوق السماء ونفخ الله واداة الروح القدس ». وممَّا كتب عنهُ احد انصارهِ « انَّ الآباء الاقدمين كهيلاريوس واوغسطينوس وغيرهما لو عاشوا في عهده لتشرَّفوا بالتتلمذ لهُ ولأعدُّوا انفسهم سعداء بان يخدموهُ كأذلّ العبيد و يحملوا السراج امامهُ »

وكان زفنكل وهو ألدّ اعداء لوتار يُشبهُ ببغضهِ لآباء الكنيسة وشهاداتهم وهو الذي كتب: « لا يزال اخصامنا البابويُّون يستشهدون لنا بكتابات الآباء. ولكن ما لي وللآباء. فانهم ليسوا باهل ان تُقرأ كتاباتهم او يؤخذ منها دليل لمعرفة الحق »

امَّا كلوين فانَّهُ بعد ان حاول ان يحرّف كتب آباء البيعة ليتَّخذ بذلك حجَّة لتأييد ضلالهِ قلب لهم ظهر المجنّ واخذ يشتمهم ايضًا كخلفائهِ لوتار وزفنكل بنبال الملامة والتبكيت فيدعوهم حينًا « أحداث مدارس وجهلةً بتفسير الكتاب » وأخرى يصفهم « بالمراء والمحاباة » زاعمًا انهم لم يكشفوا القناع عن الحقّ خوفًا من الفلاسفة المشركين

وممَّا يخبر عن تاودور دي باز خلف كاوين انَّ القديس فرنسيس دي سال دخل عليهِ يومًا فرأى في زاوية من غرفتهِ اضابير كتب وصُحُف منتثرة يعلوها الغبار فسألهُ عنها فاجاب دي باز: « هذه اعمال الآباء المُتَن قد نبذتُها منذ عهد مديد في تلك الزاوية لكثرة ما أُودعت من الخرافات ». فقال فرنسيس: « امَّا انا فاني اعتبرها بمنزلة كنوز مدفونة تُغني من يطالعها بروح لم يُعمهِ الهوى »

وبلغ سكاليجر الكاتب البروتستانيّ الشهير الى ان دعا القديس هيرونيموس « حمارًا

علجًا ويسوعيًا محضًا (كذا) وراهبًا احمق» ونعت القديس اوغسطينوس بكونه «رجلًا اخرق جافي الطباع معاندًا للحق»

وقد أتى هؤلاء الكتبة بعبارات اقبح من السابقة في حق ملافنة الكنيسة يخجل قلمنا من ايرادها وفي ما اوردناه كفاية ليكون القرّاء على بصيرة من بذاء اقوال بعض زعماء الهرطقة ومسبّاتهم لآبائنا الافاضل الذين جمعوا بين العلم والفضيلة ولا ينكر فضلهم ألّا من انكر ضوء الشمس في رابعة السماء.

٢

ولسائل ان يسأل ترى ماذا ساق هراطقة القرن السادس عشر واتباعهم على ان يقرفوا الآباء بمثل هذه القذائع ويوسعوهم شتمًا وثلبًا

الجواب على ذلك انّ دعاة الاصلاح الموهوم لم يطلبوا بخلع نير الكنيسة الوقوف على الحق بل ارادوا ان ينشروا مبادئهم الثوريّة لثلّ عرش الدين وتقويض دعائم السلطة. ولو كانوا صادقين في قولهم انّهم يقصدون اصلاح الكنيسة لتفقّبوا عن اعمال الآباء وعادوا بالنظر الى التقاليد الكنسيّة الواردة الينا جيلًا بعد جيل بالاسانيد الواهنة. لكنّهم لمّا رأوا انّ في هذه التآليف القديمة ما يدحض تعاليمهم الجديدة وينقض مبادئهم اشهروا على اعمال الآباء حربًا عوانًا واصلوهم نارًا حامية لعلّهم بذلك ينتقصون اعتبارهم ويحطّون من قدرهم. ألا انّ الحقّ سيفٌ على اهل الباطل لا بدّ ان يفلّ شباتهم وينتصر عليهم وقد قيل ان جولة الباطل ساعة وجولة الحقّ الى قيامة الساعة

وعليه لم يمضِ الزمن الطويل على اشياع لوتار وكلوين ومَن اخذ إخذهما حتى فهموا ما في بَخس قدر الآباء من الظلم والجور فارعوا الى الرشاد واسكتوا صوت الهوى واخذوا يدرسون كُتب الآباء الاقدمين ويعرضونها على تعاليم الكنيسة فرأوا بينهما من الائتلاف ما اخجلهم

قال بَرُسنس في سيرة الطوباوي كَيسون: «وما كان يزيدنا كلّنا قلقًا وارتيابًا في اقاويل زعمائنا المبتدعين ما كنّا نجدهُ في كتب الآباء الاقدمين ممّا ينفي مزاعمهم ويُبطل احاديثهم وبعد ان كنّا نصرف الليالي ونقضي الأيام الطوال في درس مقالات المشيّعين الجدد كنّا نطالع اعمال الآباء. فما تمرّ علينا الّا دقائق قليلة فنتحقّق انّ تعاليم

اساتذتنا زورٌ وبهتان كلُّها مبنيَّة على الرمل منافية لما رقَّهُ الآباء الاقدمون وهم قد فصلوا منذ قرون عديدة كل المشاكل والاعتراضات التي لاذ بها دعاةُ الدين الجديد »

فما لبث برُنسلي وكيبون ان جحدا هذه الاضاليل وعادا الى حجر الكنيسة. وقد انتهى بهما كلُّ من كان سليم النيَّة صادق الطويَّة. فتخوَّف لذلك زعماء البروتستانت من خذلان انصارهم فصاروا يحذّرون الناس من مطالعة كتب الآباء ويصوّبون اليهم سهام التثريب والشتم. قال احدهم وهو فلوديون دي ريون (في الجزء الثامن من تاريخهِ ص ٦٦٥): «انهُ لمن المستحيل ان يطالع احدٌ بصفاء السريرة اعمال الآباء ويبقى متشبّثاً باقوال معلّمنا كلوين »

نعم القول قولهُ «بصفاء السريرة» لانَّ بعض انصار البدع المستحدثة طالعوا تصانيف الآباء ووقفوا على شواهدهم المقنعة ولم يرجعوا الى الايمان القويم. وما ذلك سوى لتغلُّب اهواء قلبهم على عقلهم او لتقتهم بنفسهم مُعجباً بآرائهم الخاصَّة. ومن جملة هؤُلاء الذين داوموا على ضلالهم الكاتب الشهير كازوبون (Casaubon) لم تثنهِ عن خطتهِ الادلة التي وقف عليها في القدماء وهي تثبت بنوع صريح عقائد الكنيسة. الَّا انَّ ابنهُ كان اسعد منهُ حظاً فعاد الى ايمان آبائهِ

٣

ولمَّا رأى انصار لوثار وكاوين وزونكل انهُ لا مناص لهم من شهادات الآباء وانَّ اقاويل القدماء تؤيد تعاليم كنيسة رومة العظمى صرفوا نظرهم الى وجود طريقة لينتزعوا هذه الشوكة من عقولهم فيطمئنوا بالهم ويُسكتوا صوت ضميرهم. فغاية ما وجدوا ليردّوا شهادة الكَتَبة الكاثوليكيين كالكاردينالين دو پرون وبلرمين انَّ الآباء الاقدمين بشرٌ مثلنا وكما انَّنا لسنا بمعصومين من الغلط كذلك الآباء أمكنهم الوهم والغلط. فما ادراكنا انَّ شهادتهم اصدق من شهادة غيرهم ؟

بيد ان هذا الجواب لم يُفد تَبَعةَ الاصلاح الجديد ذرَّةً لانهم جهلوا (او بالحري تجاهلوا) انَّ كلاً من الآباء القدماء يقوم بمنزلة شخصين متميّزين يقتضى افرازهما باشدّ الاعتناء. والحرص نعني بهما الكاتب الخاصّ وشاهد الدين الصادق اليقين

والحقّ يقال انَّ ايريناوس ويوستينوس ويوحنا فم الذهب وباسيليوس واوغسطينوس كتبةٌ سطّروا الاساطير الكثيرة منها علميَّة ومنها تاريخيَّة وبحثوا الابحاث الطويلة في امور

جمّة لا نعلّق عليها اهميّة كبرى لأنهم في كتابة هذه التآليف لم يتكلّموا سوى بمنزلة علماء منفردين ليس لهم في صحّتها ألّا شرف اسمهم الخاصّ وقدرهم الشخصيّ فيمكنهم ان يهوا ويغلطوا كجميع البشر

ولكن لهؤلاء الآباء مرتبةٌ أُخرى غير هذه ترفع بشأنهم وتجعلهم اهلاً بكل اعتبار واكرام ألا وهي منزلة شهداء الحقّ ورتبة انصار الدين وهي تعصمهم عن الغلط لأنهم لا ينطقون اذ ذاك عن لسانهم الخاصّ بل عن لسان الكنيسة المعصومة من الغلط. وهذا ما نعهده في اساقفة الكنيسة فأنّهم متى علّموا كرعاة يغذون شعبهم بقوت العقائد الكنسيّة يُضحي تعليمهم باتّفاقه مع تعليم الكنيسة جماء تعليماً خلوّاً من الوهم والغلط

وقائل يقول ومتى تكون اقاويل احد الآباء متّصفةً بهذه الصفة التي تجعلهُ لسان الكنيسة معصوماً بعصمتها. قلنا انّ ذلك يظهر من غاية التأليف وموضوعهِ ومن العبارات التي ينتقيها الكاتب حتى يبيّن غرضهُ ومن الادلّة والشواهد القديمة التي يسند اليها رأيه حين يكرّر قولهُ انهُ اخذ هذا التعليم من السّلف او من التقليد الرسولي لاسيا اذا اتّفق مع غيره من الآباء او اثبتت الكنيسة بعض اعماله واقواله سواء كان بكتابة عامّة من احد عظماء الاحبار او في بعض مجامعها المسكونيّة. فحينئذٍ يحقّ القول انّ تأليف ذلك الاب لا خطأ فيه ويجب تصديقهُ في الامور الاعتقاديّة لانهُ عين الصواب وشاهد اليقين

فلا يحقّ اذن لاصحاب الشيع الحديثة ان يُلقوا ظهريًّا تعاليم الآباء بمجرّد قولهم انهم بشرٌ مثلنا قابلون الوهم والغلط

وقد التجأ قومٌ من المبتدعين الى وسيلة أُخرى ليتملّصوا من هذا المشكل المظيم فانهم قالوا انّ الكنيسة داومت على الصلاح واستقامة الايمان في القرون الاولى ولكن تعدّت طورها بعد ذلك وفسدت مع كرور الدهور وعليه فانّ تعاليم الآباء صادقة طالما كانت الكنيسة سائرة في محجّة الحقّ ولكن لا سبيل الى قبول شهادات الآباء الذين اتوا بعد ذلك العهد

فيجيبهم الكاثوليك انّ هذا التمييز لا يُجدي نفعًا انصار الشيع المستحدثة لانّ تأريخ الكنيسة كسلسلة لا يمكن قطع حلقة من حلقاتها دون ان تضطرب وتغنى جميعها لانّ الكنيسة جميّة يعيش صغارها مدّة مع كهولها وشيوخها ويأخذون عنهم تعاليدهم

ويخلفونهم في تعاليمهم وعوائدهم لاسيا وانَّ هذه الجماعة منبثَّة في اقاصي الارض لا يمكن قسماً منها ان يستبدل شيئاً من المقائد الدينيَّة دون ان يقيم عليه غيره الحجَّة ويزيِّفوا تعليمهُ الحديث

وما يبيّن ضعف هذا الجواب انَّ المبتدعين لم يتَّفقوا على تعيين الوقت الذي غيَّرت الكنيسة تعليمهـا الصحيح بتعليم فاسد فالبعض يقولون انَّ ذلك حدث في آخر القرن الاوَّل والبعض في الثاني او الثالث. وملَنكتون يزعم ان ذلك جرى في سنة ٤٢٠ . اما دي باز وغيره فزادوا كماً وقالوا انَّ الكنيسة لم تُغيِّر تعاليمها الصادقة الى القرن الخامس بل سلَّم بعضهم بانَّ البيعة بقيت على حُسن خطَّتها الاولى الى القرن السادس والسابع وبلغ بعضهم في تصويب التعاليم الكنسيَّة الى سنة ١٣٠٠

.فيا لله من هذه التقلُّبات والمزاعم المتناقضة التي جعلت احزاب الشيع المبتدعة اضلَّ من الضبِّ لا يذهبون الى قول حتى تتصدَّى لهم عراقيل جديدة لا خلاص منها. فكانت نتيجة هذه الاقاويل المتنافية المتضادَّة تفرُّق الكلمة بين هذه الشيع وهي لا تزال في كلّ سنة تزيد اختلافاً وتنازعاً حتى لم تكد تجد بينها اتفاقاً سوى في شيء واحد وهو مخالفتها لكنيسة رومة وعقائدها الصحيحة

ومن نتائج هذه المزاعم ايضاً فَقْد كثيرين من هؤلاء روح الايمان فصـاروا لا يعتقدون بالمسيح ولا بالكتب المنزلة وهم الذين كانوا سابقاً ينشرون على رؤوس الملأ انَّ الايمان وحدهُ كافٍ للخلاص وانَّ الكتب الكريمة هي دستور عقائدنا الوحيد

امَّا الكنيسة الانكليكانيَّة فلم ترضَ في اوَّل امرهـا باقاويل لوتار والشيع البروتستانيَّة ولذا كان اصحابها يكرّمون الآباء الاقدمين و يستقون من موارد تعليمهم الّا انَّ هذا الروح خمـد في قلوب كثيرين حتى أنعشهُ فيهم اساتذة كليَّة اكسفرد في عصرنا هذا فاقبلوا على دراسة الآباء بغيرة لا مثيل لها وخصُّوا بدرسهم تآليف آباء القرون الاولى الثلاثة فنشروا طبعات جديدة من كتبهم ودعوا النـاس اليها وكان منهم رجال كرام ذوو عقل ثاقب وبصيرة نقَّادة فما لبثوا ان وجدوا انَّ الآباء يشهدون بصوت واحد للكنيسة الكاثوليكيَّة فعادوا الى حجرها خاشعين خاضعين ولم يثنهم عن عزمهم شيء من المصاعب التي لقوها دون تحقيق رغائبهم

فمنهم من تنازل عن رتبته السامية ومنهم من احتمل اضطهادات شاقَّة. واضطرَّ

بعضهم الى ان يهجروا الاوطان في سبيل الايمان فباعوا دنياهم بدينهم ونعم التجارة . ومنهم رجال العصر الذين تفتخر بهم انكلترة جمعاء كالكردينال نيومن والكردينال مانين والوف أُخَر رفعوا لواء الفضل والفضيلة في وطنهم ولا يزال عددهم يتزايد مع الأيام . وما ذلك سوى نتيجة درس كتب آبائنا في الايمان امتعنا الله وجميعَ الضالين بنور الحقّ والهدى آمين اللهمَّ آمين

تقوع : موقعها وآثارها

لحضرة الاب الخوري ميخائيل حُوَيْس المارونيّ

شوّقني احد الآباء الافاضل للذهاب الى بلدة تقوع الدارسة للوقوف على مخبّآت آثارها الطامسة فملت بكليَّتي الى ذلك رغبةً في ما هنالك فسرتُ اليها مع بعض الادباء الكرام في ١٤ شباط . وقد احببتُ ان انقل وصف ما شاهدتهُ من آثارها وعرفتهُ من اخبارها الى حضرة الادباء من قرّاء مجلّتكم الغرّاء . فازفُّها اليهم نبذةً ادبيَّةً وعبرة تاريخيَّة فاقول :

ان تقوع مدينة قديمة واقعة في سهم سبط يهوذا في الجنوب الغربيّ من القدس الشريف وهي عن القدس على مسافة خمسة عشر ميلاً . كانت في غابر الزمن مدينة زهراء وروضة غنّاء تُعَدّ من مدن فلسطين العامرة وقد جاء بذكرها الكتاب الكريم مراراً وتكلّم عنها بعض المؤرّخين بكلام لا يشفي أُوام المؤرّخ المدقق

فموقع هذه المدينة على تَهْب (الجبل العظيم مع طول) شامخ تعلو عن سطح البحر المتوسط ٨٥٠ متراً ولا تقلّ مساحتها على ما هي عليه الآن عن ٧٠٠٠ متر مربَّع وهي من جهاتها تشرفُ على جَددٍ من الارض فسيح الفضاء وسيع الارجاء . يتراءى لناظريك البحر الميت (بحيرة لوط) من اكثر مشارفها المطلّة عليه شرقاً . فوفرة أنقاضها المتراكمة وكثرة رسومها واطلالها المتراكبة وجمال موقعها الطبيعي الذي تفوق به غيرها من مدن اليهوديَّة يثبت انَّها كانت مطمحاً للاوَّلين ومنتجعاً للرائدين

فمنها كانت تلك المرأة الحكيمة التي ارسلها الى داود الملك يوآبُ رئيس جيشهِ في استرجاع ابيشالوم ابنهِ الذي كان ابوهُ داود ناقماً عليهِ بسبب قتلهِ اخاهُ أمنون

(ملوك٢ ف ١٤: ٢) . وفيها اقام يوشافاط بن آسا ملك يهوذا بجيوشهِ لمَّا فاز بغنائم الموآبيين والعمّونيين وحلفائهم الذين خرجوا عليهِ في آخر سني ملكهِ (أيام٢ ف ٢٠: ٢٠)

وفيها ولد عموص النبي الذي كان نحو سنة ٧٨٤ ق م ودعي فيها مواشيهُ (نبوَّته ف ١: ١) . وكان مع معاطاتهِ فنَّ الرعاية على جانب عظيم من المعارف والعلوم ودليلهُ ما جاء في نبوَّتهِ من الكلام المتعلّق بتخطيط البلاد وعلم الفلك وفنّ التاريخ فضلًا عن انَّها شعريَّة المذهب وفيها من ضروب الفصاحة والتفنن في اساليب الكلام ما يقضي لهُ بالنباهة وسموّ الخاطر

وقد تراخت هذه الأيام على خراب هذه المدينة حتّى مستطيلة ومن الاخبار المتواترة انَّها أُهلت من نحو جيل ونصف ببعض السكّان غير انَّهم لم يلبثوا فيها طويلًا حتى أُلقيت بينهم عصا الشقاق فنزحوا عنها مغادرينها لبعض الاعراب الرُّحل المعروفين بالتعامرة وهم قومٌ من شُذَّاذ البادية يتناوبونها صيفًا ويتركونها شتاء

امَّا الآن فان تقوع خرابٌ يباب قد تأكلت حجارتها العناصر ولعبت بمجموع بنائها ايدي بعض خرَّاب البادية المدقعين وكاني بالمتنبي قد وصفهم بقولهِ:

خرَّابُ باديةٍ غَرْثى بطونُهمُ مَكْنُ الضبابِ لهم زادٌ بلا ثمنِ

واصبحت بعد رونق بهجتها منسابًا للصُرد ومَدَبًا لوحش الفلاة فما هي الآن في ذلك الفضاء الاعبارة عن رسوم شاخصة واطلال على اعقابها ناكصة . لا يُعاج اليها ولا مَن يعرّج عليها مثل كثير سواها من مدن اليهوديَّة التي نصَّت عليها النبوَّات المديدة بآيات الخراب والدمار وقضت على اهلها لتناقم اثمهم بتشتيت شملهم تحت كل كوكب فنُثِروا ولم تنتظم لهم حال . وغدوا رهينة رحمة من هو لهم عدوٌ جائر ورقيب ثائر واضحت مُدنُهم بعد بلوغها اوج المدنيَّة والحضارة قاعًا صفصفًا لا يُعرَف عنها سوى الاسم ولا ما يفصح منها غير الطلل والرسم

غير انَّهُ لم يَزَل يشاهد من مُتقَن عادياتها ونموذجات تحضُرها عَددٌ محطَّمةٌ منبثَّة في اكثر جهاتها . وقد رأيت في أكوام اطلالها وبقايا انقاضها قطعًا من الرخام الابيض النقي ومربّعات من الفسيفساء . وغير ذلك ممَّا يدلّ على انها كانت مظنَّة الثروة والغنى وفيها ايضًا آثار كنيسة فسيحة اظنّها من بناء الصليبيين وهي متوسّطة تلك الانقاض الجاثمة وفي صحنها جرن طولهُ متر ونصف مستديرٌ فارغٌ مثمّنة جدرانهُ

الظاهرة وعليها نقوش مثلَّمة لا يُهتدى الى حلّ رموزها بيد انهُ على احد جدرانهِ صليب رباعي لم تقوَ عليهِ شياطين الدمار. ووجدتُ في بعض انحاء من إطارها حجارة ضخمة تخيَّل للرائي انها بقايا سورٍ قديم وعلى الجانب الشمالي منها مقبرة وهي ألحاد في صخر لها طبقاتٍ مطلّة على خَبْتٍ من الارض يناوحها جنوبًا ندحةٌ فسيحةٌ مشمولٌ جاناباها بالرسوم والانقاض

والآبار منبثّةٌ في اكثر جهاتها وقد رأيت منها ما ينيف على العشرين وعليها حوانيها (خرزتها) وكلها منقورة في صفاةٍ غير بعيدة القعر. على انَّ المستبصر المدقق بآثار هذه المدينة يقوم لديهِ من آثارها ما يثبت انها قد جُدّدت مرّاتٍ في ادوارٍ من الزَّمن واخيرًا طُويت بعد النشر ليوم الحشر نفاذًا لقضاء مَن لا مردَّ لقضائهِ

فهذه عجالة سطّرتها تذكرة تدلّ على قويم رونق هذه المدينة وتحويل حالها فسبحان الذي لهُ علم الغيب ويتصرَّف بالعباد كيف شاء واراد

فنّ التمثيل

للشاب الاديب نجيب افندي حيقة مدرّس البيان في كلّية القديس يوسف (تابع لما سبق)

٣ الوحدات

الوحدات هي ثلاث: وحدة الواقعة ووحدة الزمان ووحدة المكان

١ وحدة الواقعة. ان ارسطو يقضي بوجوبها ويسمّيها ايضًا وحدة الروح لانَّ الرواية التمثيلية هي في اعتبارهِ بمثابة كائنٍ حيّ (ζῶόν τι). ولا يخفى ان الوحدة هي قوام كل حياةٍ في العاقل. فلم يعُد من ثمَّ باب للجدال في وجوب وحدة الواقعة. ولذا نرى أئمة الفنّ اجمعوا على الإفتاء بها والعمل بموجبها. وقد حدَّها كورنيل بقولهِ انها «تقوم بوحدة العُقدة (Intrigue) اي العَقَبة في سبيل كِبار الاشخاص وبوحدة الخطَر». فجميع الهمم والمساعي تنصرف في اشتباك الاحوال الى تمهيد العقبة وحلّ العقدة لنصرة البطل او خذلانهِ. فيبقى هو مدَّة التمثيل كلّها مستجمعًا على ذاتهِ التشوّق معرَّضًا لخطرٍ واحدٍ منذ البداءة الى النهاية. فان زال الخطر انتهت الواقعة وان عرض غيرهُ كانت واقعة

جديدة. وقد صرّح كورنيل بانّ قولهُ هذا السابق لا ينفي تعدُّد العُقَد والاخطار الثانويَّة كما ان وحدة الواقعة لا تنفي تعدُّد الوقائع الصغرى واشتمال هذه ايضًا على اصغر منها. فالمقصود اذن واقعة واحدة تامَّة لا يجد الجمهور ارتياحًا الّا بانحلال عقدتها وظهور نتيجتها. وليست تتمّ الّا بوقائع أُخَر ناقصة هي بمنزلة الاجزاء لها. وما على المؤلف ان يعرض لأعين الحاضرين جميع هذه الوقائع الصغرى. بل لهُ ان يختار منها ما يراهُ احسن موقعًا في النفوس امَّا بجمال مشهدها او بما تُثيرهُ من عواصف الاهواء. او غير ذلك ويخفي البواقي فيعرّفها الى السامعين بطريقة الإخبار او بوسيلة أُخرى يهتدي اليها بفنّهِ ولكن يشترط عليهِ ان تكون هذه الاجزاء ملتحمة (كما سبق القول في الكلام عن الموضوع) صادرة جميعها عن الفصل الاول كما تتفرَّع الاغصان عن جذعها

امَّا وقد علمنا كيفيَّة تركيب الواقعة من عناصرها فلم يبقَ علينا سوى البيان عن هذه المناصر. فلكم من الكتبة أخطأوا الغرَض المقصود من القول ان مدار الرواية على البطل. فحسبوا انّ وحدة الواقعة تقتضي ان لا تكون وقائعها الصغرى الّا مجموع ما جرى لفردٍ. وعلى هذا المبدإ الفاسد ألَّفوا الرواية الواحدة من حوادث شتى لا علاقة بينها. وما رغبوا فيها الّا لأنّها جرَت لفردٍ. كأنّما المراد من وحدة الواقعة سردُ اخبار البطل او ترجمة حياتهِ. امَّا ارباب الفنّ فيحكمون بانّ هذه الوحدة «لا تقوم بما يحدث لفردٍ بل بواقعة يشترك فيها كثيرون ووُجهتُها الى امرٍ واحد». فكانّما هي براز بين فريقَين ساعيَين في حلّ العقدة الواحدة لنصرة البطل او خذلانهِ. لتأييد العمل او إحباطهِ

٣ وحدة الزمان لقد رأى ارسطو ان الاحرى بالرواية انحصار واقعتها في دَورة شمس او ما قارَب ذلك. والمراد «بانحصار واقعتها» انّ الحوادث التي تمثّلها في الرواية لا يقتضي حصولها في الحقيقة اكثرَ من المدَّة المعيَّنة لها. وهذه المدَّة التي اشار اليها ارسطو بدَورة شمس كانت موضع جدال طويل بين ارباب الفنّ. فقيل انهُ كنى بذلك عن النهار فقط وقيل بل اراد الليل والنهار. وقيل... وقيل... فتضاربت الآراء في وحدة الزمان وذهب الكتبة فيها مذاهب فمنهم مَن توسَّعوا بها فسمحوا بعدَّة ٢٤ ساعة بل ٣٠ و ٣٦ ومنهم مَن حصروها في ٦ ساعات بل ٣ بل دون ذلك. يقصدون بهذا ان وقائع الرواية لا يتعدَّى حدوثها في الحقيقة الزمنَ اللازم لتمثيلها

وهذه الوحدة طريقة جرى عليها اليونان وليس غير الفرنسيس بعدهم اكبروا شأنها واطالوا البحث فيها وجروا بموجبها. فكورنيل نفسهُ بعد ان كان نافرًا منها رضخ لها. وكذلك الشاعر راسين. ورب رواية لها انحصرت واقعتها في الزمن الواجب للتمثيل فقط. وقد جرى على مثالها سائر الفرنسيس في القرنين السابع عشر والثامن عشر. ولا تسل عمَّا كلَّفتهم مراعاة هذه الوحدة من الاتعاب والكرب وما اوقعتهم فيهِ من الخلل والشواذ. امَّا باقي الأُمم كالانكليز والاسبان والالمان فلم يعبأوا بهذه السُنَّة بل كثيرًا ما سخروا بها وبذويها فتصرَّفوا كما شاءوا بالزمان. ولكم لهم من رواية تعدَّت واقعتها الاشهر والسنين

٣ وحدة المكان لم يقل ارسطو شيئًا في هذا المعنى. ولقد كثر الاختلاف في وحدة المكان كما حدث في وحدة الزمان. فمنهم مَن قضى بان تتمَّ الواقعة كلها في قاعة لا تتعدَّاها. ومنهم مَن سمح ببيتٍ كامل. ومنهم مَن اباح مدينةً بما فيها. اعني ان بعض وقائع الرواية يصحُّ ان تكون حدثت في احدى قاعات البيت او احد احياء المدينة. وبعض الوقائع في قاعة اخرى او حيٍ آخر من ذلك البيت او تلك المدينة. ولا حاجة الى القول ان الفرنسيس وحدهم على مثال اليونان راعوا في القرنين السالفين هذه السُنَّة ايضًا. امَّا المؤلفون من سائر الامم فنبذوها نبذ النواة. فكنت ترى حوادث الواقعة في رواياتهم تارةً في مدينةٍ وطورًا في اخرى. بل كثيرًا ما انتقلت من مملكة الى مملكة ومن قارةٍ الى غيرها. وكانت وحدة المكان ملغاةً في فرنسة قبل عصر كورنيل. لان الجمهور كان يرغب في تغيير مناظر المرسح

وترى الفرنسيس انفسهم في عصرنا شقُّوا عصا الطاعة فلم يعودوا يبالون بالوحدة في الزمان والمكان

ولقد أصلت قضيَّة الوحدات حربًا عوانًا بين الأئمة ولا حرب البسوس. وان تكن الاراء متشعّبة فرجعها الى فريقين: انصار الوحدات وخصومها. فهؤلاء يقول لسان حالهم ما قال غوت « ويُضحكني ان بَيرُن (١ ذاك الذي في حياته كلّها لم يلوِ على عنان ولم يعبأ قطُّ بسُنَّة قد رضخ لقاعدةٍ من أبلدِ القواعد اعني بها الوحدات الثلاث ». والوالانك

(١ Lord Gordon Byron شاعر انكليزي في اوائل القرن الحاضر كان لهُ شأن خطير في انكلترة واوروبة توفي سنة ١٨٢٤

يذهبون مذهب فردريك (١ القائل في مجرى كلامه عن آداب الامة الالمانيّة « انك تدخل احد المراسح في المانية لتحضر تمثيل رواية من روايات شكسبير (٢ فتجد هناك جمهورًا لا يتمالك حبورًا عند سماع هذه التهريجات (Farce) التي يمجّها الذوق السليم وليست تليق بغير اعلاج الصحاري وهمج البراري. وقد دعوت (روايات شكسبير) باسم تهريجات لانها تخالف كل اصول الفنّ. وهذه الاصول ليست مباحة يتصرّف بها من شاء كما شاء. بل تراها مصرّحًا بها في كتاب فنّ الشعر لارسطو (كذا). حيث تعتبر وحدة المكان ووحدة الزمان وحدة الواقعة كالوسيلة الوحيدة لتكون الرواية شائقة »

فليت شعري على ايّ القولين نعتمد والى ايّ الفريقين نستند ؟ فتعجب ان مَن نبذوا الوحدات وسخروا بها وبذويها لهم في ضلال مبين. لأنها ليست مجرّد اختلاق كما توهّموا بل قضت بوجوبها الطبيعة ودلّ عليها العقل. امّا وحدة الواقعة فلا نعود الى البحث فيها اذ لم يختلف فيها اثنان بل جميع ارباب الفنّ قد رضخوا لحكمها كما سبق الكلام وعملوا بوجبها مع اتّخاذهم الجوازات اللائقة لروحهم وموضوعهم. فكأنّ كلاً منهم يقول مع كورنيل « ان مجرّد النظر العقلي وهو كان دستوري الوحيد هداني الى وحدة الواقعة »

امّا وحدة الزمان فناتجة من وحدة الواقعة ومبنيّة مثلها على الطبيعة. فانّ الرواية التمثيليّة ليست الّا محاكاة وان شئت قل صورة اعمال البشر. ولا خلاف في ان اتقان الصوَر يزيد بتقرّبها الى الحقيقة وحسن مطابقتها للاصل. فالرواية التي تمثّلها في قليل من الساعات لا تزيد حسنًا وكمالًا الّا اذا انحصرت واقعتها في القليل من الزمن. وكذلك قل عن وحدة المكان فانّها لاحقة بهاتين الوحدتين. اذ يُستغرب ان الواقعة التي تجري حوادثها في بضع ساعات تتمّ في اماكن بعيدة مختلفة. فالعقل لا يرضى بالمحال

لكن يا تُرى هل من الحكمة تحديد نطاق الزمان والمكان وحصر المؤلّفين ضمن حلقة ضيّقة تضغط عليهم كما فعل الفرنسيس بانفسهم في القرنين السالفين فقاسوا من جرّاء ذلك مرّ العذاب فحرموا ذاتهم وحرمونا من رواياتٍ بديعة اعرضوا عنها اذ لم

---

١) فردريك الثاني المعروف بالكبير. ملك على بروسية من سنة ١٧٤٠ الى ١٧٨٦

٢) Shakespeare اعظم ارباب هذا الفنّ عند الانكليز (١٥٦٤—١٦١٦)

يمكن حصرها في النطاق الضيّق المفروض. ولو افسحوا لانفسهم في المجال لما اصابهم ما اصاب ولما ركبوا متن الشطط في بعض المواضع فقدّروا المستغرب وصوَّروا المستحيل كلّ ذلك مراعاةً لوحدة الزمان والمكان. وايمُ الله لسنا نجحد فضلهم وجليل خدمتهم في جانب الاصول وعظم مقدرتهم التي ذلَّلت لهم الصعاب. وليس يخفانا ما اتوا بهِ من فرائد الروايات البالغة من الكمال حدّ الاعجاز حتى بنَوا لهم من المجد منزلاً رفيع العماد لا تطمح اليهِ الابصار ·

وما كنّا لننكر انّ الرواية تزيد اتقاناً كلّما زادت تشبُّهاً بالحقيقة. وان منتهى الكمال فيها يتمّ بانحصار واقعتها في مكان واحد وساعاتٍ قلائل اي الزمن اللازم للتمثيل. لكن مَن يقوى على إدراك هذه الأمنيّة غير مَن زانهم الله مثل هؤلاء الشعراء الامجاد بالمواهب السامية والمقدرة العجيبة. وما امثالهم بكثيرين. على أنَّهُ ما لا يُدرَك كلُّهُ لا يُترَك جلُّهُ. وليس علينا ان نظلم انفسنا باعتقادنا كما اعتقدوا انَّهُ ضربة لازب انحصار زمان الواقعة ضمن ٢٤ ساعة او ٣٠ وانحصار مكانها في نطاق منزل او مدينة فقط

ولا عبرة بما نسبهُ فردريك وغيرهُ الى ارسطو ممَّا هو بَرَاءٌ منهُ. فانَّ هذا الإمام كما لا يخفى جزم بوجوب وحدة الواقعة ولم يقل شيئاً صريحاً عن الزمان والمكان. فكأنهُ ادرك بحكمته البالغة ان شأنهما يختلف باختلاف البلاد والاعصر. فلذا لم يضع لهما حدّاً محدوداً بل تركهما وشأنهما. ولا عبرة ايضاً في هذا الصدد بمثل اليونان واضعي هذا الفنّ وأئمّته. فانّ رواياتهم لم يكن يتخللها فترة قطّ بل كانت متواصلة من غير انقطاع حتى النهاية لا ينزل فيها ستار ولا يَفرق بين فصولها غيرُ ادوار الغناء. وما الغناء عندهم الَّا جزء من الرواية يربط بين وقائعها المختلفة. فهل كان يمكنهم والحالة هذه الَّا حصر الزمان والمكان في اضيق نطاق. ومع ذلك نرى بعضهم قد خالف هذه السُنّة وهي اوجب عليهم. فكيف بنا وقد تغيَّرت معنا الحال. اذ توفَّرت لدينا المعدَّات التي تمثّل باتقان ما شئنا من الاماكن والبنايات المختلفة حتى يخيَّل للناظر اننا في مكان الواقعة الحقيقيّ لا في مرسح التمثيل. فضلاً عن ان الستار بنزولهِ في آخر كلّ من الفصول يحجب عنّا المشهد السابق ويترك لنا فترة للراحة وتنزيه الافكار حتى نكاد مع حفظنا التامّ لحالات الاشخاص نذهل عمّا رأينا من المناظر فلا ينكشف الستار عن مشهدٍ

جديد الّا توهّمنا اننا انتقلنا الى مكان آخر يلوح لاعيننا في الفصل التالي. ولا ريب انّ الفترة بين الفصلين تساعد كثيرًا على التخيل فيسهل للحاضرين التقدير ان الاشخاص تمكّنوا في خلالها من الاسفار والمخابرات وجميع الاعمال والمساعي اللازمة لتأييد او إحباط المسعى. سيما وان ادوات النقل السريع كثيرة في عصرنا لا يحصرها عدّ وسهولة المعاملات المتنوّعة لا تقف عند حدّ. فبتنا بفضل البخار والكهرباء لا ينقصنا شيء. ولا نستغرب امرًا. فكيف نستغرب انتقال شخص او اشخاص من مكانٍ الى آخر في زمن يسير

فلعمري يحقّ لنا ان نكسر تلك الحلقة الحديدية التي ضيّق علينا بها رجال القرن السابع عشر ونوسّع نطاق الزمان والمكان في رواياتنا. لكن ايّانا ان نتجاوز الحدود ونستبدّ بالوحدات على مقتضى الهوى كما فعل لوبز دي ڤيكا (١ فانّ في رواياته يبدو الشخص فتىً في الفصل الأوّل وشيخًا في الاخير. ولكم من كبار المؤلفين جروا على هذه الطريقة المنكرة. وليس يُغتفر لهم مثل هذا الشطط الّا في جانب ما حوت رواياتهم من العظمة وانواع الكمالات الحرّية بالاعتبار وخلاصة القول ان حبّ التناهي غلط وخير الامور الوسط. فكلّ ما راعى جانب الاحتمال وحسن المحاكاة مقبول ومشكور. وما عداه فهو مردودٌ ومرذول

٤ ادب الرواية

لقد سبق لنا الكلام عن المنافع العظمى الناجمة عن الرواية التمثيلية اذا روعيت شروطها وتحرّى فيها الكاتب غايتها الشريفة ألا وهي توفير اسباب اللذة مع الفائدة. كما بيّنا الاخطار والاضرار الجسيمة الناتجة منها اذا حاد المؤلف عن جادّتها القويمة. ولا بدع فان هذا الفنّ لهو اقوى الفنون فعلًا بالنفوس واشدّها تأثيرًا في القلب والدماغ واعظمها اقتدارًا على النفع او الضرّ. فهو اشبه بالنهر الكبير الطامي يروي الحيوان والنبات ويُكسب الاراضي خصبًا ويكون للانسان خير نصير في معامله ومصانعه ما دام منحصرًا في مجراه لازمًا حدوده الطبيعيّة. لكن اذا طغى وخرج عن

(١ Lopez de Vega من اعظم شعراء الاسبان عاش ما بين القرنين السادس عشر والسابع عشر. وقد وضع نحو ألفَي رواية تمثيليّة

خطأته وتعدى نطاقهُ فانهُ يفرّق الناس والمواشي ويخرب الارزاق ويهدم الابنية ويسبب من الاضرار ما لا يعلمهُ غير الله

فبالجملة هذه لا إخالني اوفي البحث حقَّهُ في ادب الرواية ومراعاة حرمته سيَّما واني قلَّما اجد روايةً عربية خاليةً من الشوائب خالصةً من الادران كأنَّ اصحابها لا همّ لهم سوى توفير اللذَّة للحاضرين ولو سقوهم بها السمّ في الدسم. وفي مثل هؤلاء الكتبة يصحّ قول نيكول (Nicole) احد مشاهير القرن السابع عشر. فانهُ يعتبر اصحاب الروايات المفسدة أشأم من القتلة بالسمّ ويُلقي عليهم تبعة الشرور والبلايا المسبَّبة عن مؤلفاتهم. وجميع ارباب هذا الفنّ من ذوي العقل الراجح والذوق السليم يرتأُون هذا الراي. ولعمر الحق يضيق بنا المقام عن ذكر ما قالوا في هذا الشان. فنجتزئ بما يُعلّمنا بوالو وما هو الّا ناطق بلسان حال الجميع ومُورِد خلاصة افكارهم اذ يقول: « ايها الراغب في استمالة الناس الى كتاباتك عليك ان تزيّنها بالتعاليم الصالحة وتجمع في كلّ من اجزائها بين اللذة والفائدة. فان العاقل يعاف ما لا جدوى منهُ ويرغب في ان يجني من اللذة فائدة. ولكن مؤلفاتك رسمَ نفسك وأخلاقك فلا يبدو منك بهذا الرسم الّا صورة شريفة. وما كنتُ لأجلّ الكتبة الخطرين الذين يتخلّفون عن صنوف الشرف ويحوّمون راية الفضيلة اذ يُبرزون الرذيلة في معرض يستميل اليها القلوب . . . . عليك بحبّ الفضيلة ولتشربها نفسك. فعبثاً تجود القريحة المتوقدة فانَّ من خلال الاسطر تلوح دنايا الفؤاد ». وما احسن ما قال هذا الامام ايضاً في آخر ايامهِ. « انَّ للكاتب المدنف على الموت لتعزية كبرى بأنهُ لم ينتهك قطُّ حرمةَ الادب »

امَّا وقد وعينا ما يعلمنا الائمة ويرشدنا اليه العقل وتقتضيه منَّا غاية الرواية فعلينا ان نجعل رواياتنا كما يتمنَّى الشاعر راسين « مدرسة فضائل » فنتحاشى ما يمجّهُ الذوق السليم او تنفر منهُ الآداب الصحيحة. ويتمّ ذلك اذا راعينا الشروط الآتية: ١ً لا يسوغ ان تظهر على المرسح الفظائع والفواحش والمقاذر التي تعافها القلوب وتستنكف منها النفوس ٢ً لا يجوز ابراز الفضيلة بمظهر يعرضها للهزء او يحطُّ من قدرها. كما لا يجوز ان تدور عليها الدائرة في الختام فتبدو بموقف الخسارة والفشل ومقام الانخذال والذلّ. بل يجب ان يكون لها الفوز الواضح للبيان في الدنيا او في الآخرة ٣ً لا يليق وصف الاهواء والرذائل وصفاً يحببها الى الحاضرين او عرضها بعرض يستهوي القلوب. بل

يقتضي ان لا يراها الجمهور الّا في هيأةٍ تهيّج الاستخفاف والسخرية او النفرة والكراهية. وان لا تكون العاقبة الّا وبالًا عليها سريعًا ٤ لا يصحّ ان تخلو الرواية من مغزى حميد ونتيجة ادبية مفيدة (ستأتي البقية)

حال الخلَف بازاء من سلَف

وهي نبذة في اصل الكلدان النصارى واتساع ملّتهم ولغتهم

لحضرة القس قرياقوس عتوق المحترم (تتمّة ٤ سنين)

٥

فهذا الانتشار العظيم الذي انتهت اليهِ النصرانيَّة في المشرق لدى الكلدان قد كان نتيجة بشارة اولئك الرسل الابطال الذين «في كلّ انحاء المعمور ذاعت كرازتهم وفي اقطار المسكونة كلامهم». ومنذ ذلك الحين فالى عهد النسطرة لم يزل بَنْد البشارة خافقًا ومعزّزًا ومنصورًا والى يومنا هذا لم تفتأ الكنيسة الكلدانيَّة تفتخر بهؤلاء الرسل الافاضل وتتغنَّى بمديحهم بكرةً وعشيًّا وغدوًّا وآصالًا بما تعريبهُ: «لتكن صلاة وطلبة وابتهال واستعطاف ابينا الطاهر القديس مار توما الرسول الطوباوي ومار ادي ومار ماري متلمذي المشرق سورًا شامخًا وملاذًا منيعًا لنا دائمًا الخ»

فمن هذا الابتهال ترى انَّ الكنيسة الكلدانيَّة تعتبر هؤلاء الرسل الثلاثة من اعظم رسلها لانهم بنوعٍ خاص وبجبّ متقد نظروا الى هذه الاصقاع وزرعوا فيها بذر الايمان. وهم الذين أسسوا فيها الكنائس وشادوا الاديرة وسنُّوا الرسوم البيعيَّة والطقوس الشرقيَّة وعملوا وعلَّموا في هذه الديار اكثر من غيرهم وتجشَّموا المتاعب والمصاعب في تشييد الدين المسيحي وتقويم اركانهِ ونَصب الاسقفيَّات الكبرى او هي المطرنيَّات فان اغلب المطرنيَّات المذكورة في الجدول السابق كانت من وضع الرسل اديّ وماري وتوما

وروى المؤرّخون الشرقيُّون ان المجوس الذين سجدوا للمسيح هم اوَّل الذين نادوا بالنصرانيَّة في اصقاع المشرق وممن يُذكر ايضًا مع متلمذي المشرق الرسل العظام شمعون الصفا وبرثلمي ومتى ويهوذا بن يعقوب وهو لبّي ويدعى تدّي ايضًا. فان المجوس وإن

اختُلِف في اصلهم بحيث زعم فريقٌ أنّهم من العرب وفريقٌ أنّهم من الفرس. وحسب نصّ الكتاب الكريم ان المجوس ادبروا الى كردهم من حيث اقبلوا والحال ان اعتبرناهم فرساً ام عرباً فهم في كلا الاعتبارين ينتمون الى الكنيسة الكلدانيَّة لشمولها العرب والفرس معاً منذ القديم اذن من المحتمل بل ومن الاكثر احتمالًا انَّ هؤلاء نقلوا في عودتهم الى بلادهم ما سمعوهُ وعاينوهُ في يسوع الطفل وامّه البتول تلك عادةً ألِفها المسافر ان يقصّ على اهلهِ ورهطهِ ما رأى وسمع اثناء غيابهِ عن وطنهِ في بلاد غربتهِ. فكان هذا إخبار المجوس عن المسيح كبذر للدين المسيحي في ديارهم حتى بُعث اليها بين اسقاهُ واناهُ. وقد ذكر المؤرّخون الموثق بهم: ان الصفا ورد الى بلاد الجزيرة بنوع الافتقاد وانتهى الى الجبل (فرثية) وفارس. ورووا عن برثلمي أنَّهُ تلمذ في اليمن وفارس وارمينية وعن متى أنَّهُ تلمذ في الحبش وفرثية ومادي وفارس وعن تدّي وهو يهوذا الرسول اخو يعقوب كما يستبين من رسالته الجامعة وقيل أنَّهُ ابن يعقوب ولعلَّهُ كان كذلك لاحتمال تسمية اليهود ابناءهم باسم والديهم فيقولون طوبيا ابن طوبيَا وطيا برطيا (لوقا ص ١ عد ٥٩) قالوا: أنَّه كان الداعي والمبشِّر في بلاد سوريَّة والجزيرة وغيرهما حتى الهند ايضًا حيث اقام ثمَّ زمانًا عند توما وقفل راجعاً الى دياره

امَّا شأن سياحة ادّي في البلاد الشرقيَّة وتلميذيه أجّي وماري فقد جاء عنهم في كتاب مختصر القوانين البيعيَّة لعبد يشوع النصيبيني ما ترجمتهُ: «اقتبلت يدَ الكهنوت الرها وجميعُ البلاد التي حواليها والبلاد المتاخمة وما يجاورها وبلاد العرب والنواحي التي تحيط بها والتَّيمن وتخوم ما بين النهرين من ادّي الرسول احد الاثنين والسبعين تلميذًا وهو الذي تلمذ فيها وبنى البيعة وكَهَّن وخدم فيها وساسها». ولعلَّ هذه البيعة بيعةُ الرُّها التي قال عنها ابن العبري: «ان ادّي بناها بنفقات ابجر ملك الرها ذي الرسالة المشهورة التي بعثها للمسيح يدعوهُ فيها الى مدينته لإشفائه من جذامه. ومن هذه البيعة انطلق ادّي وبصحبته اجّي وماري الى سائر المشرق للمناداة بالنصرانيَّة». فهذا أجّي يُعرف لدى المؤرخين برسول ما بين النهرين (ܫܠܝܚܐ ܕܒܝܬ ܢܗܪܝܢ). وقد روى عنهُ عبد يشوع النصيبيني في كتابهِ المذكور ما ترجمتهُ: اقتبلت يد الكهنوت فارس كلها وبلاد آثور وارمينيَّة ومادي والهند حتى آل جوج وماجوج (ويراد بهما ما وراء

بحر الخزر) وسائر البلاد المجاورة من اَجي صانع الانسجة الحريريَّة تلميذ اَدي الرسول (اه)

امَّا ما ذكرتهُ لنا التواريخ من اعمال ماري فهو اعظم جدًّا مما قلناهُ عن غيرهِ ولهذا الرسول اعتبارٌ عظيم لدى الكلدان ويُدعى المؤسس الاوَّل لكرسي جثالقتهم سلوقية وقطيسفون وهو احد الرسولين اللذين انفذهما ابجر الى السيّد المسيح وكان مصوّرًا ماهرًا. قيل أنهُ اراد ان يأخذ رسم المخلّص فلم يقدر فاخذ السيّد المسيح منديلًا ووضعهُ على وجههِ فانطبعت فيهِ صورتهُ وقد تتلمذ هذا الرسول للسيّد المسيح ثمَّ أُحصي في سلك الاثنين والسبعين تلميذًا وعاد الى ابجر مؤمنًا رسولًا. الّا انهُ لم ينادِ ويجاهر بالمسيحيَّة حتى جاءهُ اَدي فرافقهُ في سياحتهِ الانجيليَّة الى ان مات اَدي فانفرد بالبشارة. وجاب بلاد بابل كلها فالاهواز فسائر انحاء دجلة ففارس فكشكر فاهل راذان. وذاع يومئذٍ في راذان صيت رجلٍ موسرٍ مكثرٍ جدًّا يدعى هلقانا دعاهُ ماري الى الايمان فاهتدى على يده واباح جميع اموالهُ لماري فعمر بها من الكنائس والاديرة (١ نحوًا من ثلاث مئة وخمسة وستين. ومن هناك ذهب الى المدائن وتجشَّم تحت مصاعب شاقَّة بتبشير اهلها. قيل انهم كانوا مولعين بالسُّكر كلَّما كان يغشاهم الرسول كان يراهم قد ترنحت اعطافهم من بنت الحان. وكان لهم حانات خصوصيَّة فصبيانهم على حدةٍ وشبَّانهم على حدةٍ وشيوخهم على حدتهم. ولبث الرسول عندهم زهاء خمس عشرة سنةً حتى ثبَّتهم بالايمان وشيَّد ثمَّ الكنيسة الكبرى المدائنيَّة. وسار من هناك الى دورقني ومنها الى كشكر فميشان فالاهواز ففارس. وكان لا يمرُّ بمدينةٍ الّا أسَّس او شيَّد فيها كنيسةً او ديرًا وصوَّر فيها صورة السيّد المسيح والاشخاص الابرار لتستنير بها عقول المؤمنين. وفي فعلهِ هذا دحضٌ لشيعة البروتستان فترى الآن ان الصور في كنيسة الله قديمة جدًّا ولاسيا في الكنيسة الشرقيَّة. وساس ماري كرسي المدائن ثلاثًا وثلاثين سنة ومات ودُفن في دورقني او دير قني (٢ الذي ابتناهُ هو ثمَّة

امَّا توما الرسول فقد قال عنهُ اوريجانيس واوسابيوس ويوحنَّا فم الذهب وغيرهم:

١) المراد بالاديرة هنا المنازل العموميَّة لمأوى الايتام والارامل والفقراء الخ

٢) سمي دورقني لان امرأةً اسمها قني اباحت للقديس ضياعها فعمَّر بها هذا الدير وسمي بدير قني او دير مار ماري

انَّهُ انذر بالايمان فرثيَّة ومادي وآثور وقال التازيتزي وصفرونيوس انَّهُ نادى بالبشارة في فرثيَّة وفارس والهند. غير انَّنا لو استقصينا روايات الشرقيين عن توما وبشارته لرأينا المشارقة طرًّا كلدانًا وسريانًا ورومًا وموارنة قد اجمعوا باتّفاق على انَّهُ متلمذ الهند وآثور ومادي وفارس (والاتراك والديلم ايضًا كما روى التقويم الاروني). وكفى دليلًا ما رواهُ ابن العبري وعبد يشوع الصوبيني وعمرو بن متى عن مار توما ما مآلهُ: ان مار توما بشَّر في هذه النواحي الشرقيَّة ولاسيما الهند والجبل ومادي وصار رئيس الكهنة في المشرق ومنهُ اتصلت اجيارنا السياميذ الكهنوتي فيه وبنى في الهند الكنيسة وصار فيها مدبّرًا ورئيسًا حتى قُتل مطعونًا في جنبه بالحربة ودُفن في جزيرة ميلان (؟) وهي مليابور في الهند. وفي القرن الرابع أُتي بجثمانهِ المقدَّس الى الرَّها فشيَّد لهُ المؤمنون كنيسةً باسمهِ وفي ايَّام مار تورا الاسقف وُضع جسدهُ في هيكل كبير. ثمَّ أُودع جثمانهُ في صندوق من فضَّة سنة ٤٤٢ م وحُفظ ذخيرةً نفيسةً للتبرُّك

وقد وجد من زعم ان توما رسول الحبش وليس رسول الهند الحقيقيَّة وهذا الزعم مردود ومستَنَد على جُورفر هارر وبطلانهُ ظاهر اوَّلًا من كونهُ مناقضًا لاجماع نقل المؤرّخين الثقات ورواياتهم شرقيين او غربيين. ثانيًا لمناقضتهِ الآثار التي تثبّت كون نصارى الهند لم يدينوا بالنصرانيَّة على يد رسول غير مار توما. ثالثًا من التقليد الجاري والمتواصل فيما بينهم الى الآن فانَّهم لم يزالوا يُكنُّون ذواتهم بنصارى مار توما. رابعًا لان الزاعم نفسهُ لم يقدر ان يثبت متى تنصَّر الهند وفي ايّ قرن وعلى يد مَن فانَّ النساطرة الذين بثُّوا ونشروا بدعتهم تمّت في القرن السادس ويشهد العلماء لهم بذلك لم يدَّعوا انَّهم متلمذو الهند بل بالخلاف ان متلمذهم مار توما الذي من يدهِ اتصل الكلدان وضع اليد الاسقفي وانَّهم والهند شيءٌ واحد وطقس واحد منذ عهد الرسل وان قبل انتشار بدعتهم ثمَّ كانت النصرانيَّة سائدة في الهند وكان لهم اساقفة وبينهم وبين جاثليق المدائن موالاةٌ وتعلُّق شديد حتى انَّ المطران يوحنَّا الذي انتظم في سلك الاساقفة الذين شهدوا بمجمع نيقيَّة كان وكيلًا ونائبًا عن جميع الكنائس التي في فارس كلها والهند العظيمة وهو الذي وقّع عوضهم. فلو لم يكن هذا الارتباط موجودًا لناب عنهُ اولئك الاساقفة ممَّن لهُ حقّ دونهُ وليس لنا ههنا مجال لسرد جميع البراهين الدامغة التي تقطع كل شكّ وريبة وشبهة اذ ليس ذلك من موضوعنا فان من لهُ ادنى

إلمام بالتواريخ يحكم ببطلان هذا الزعم لأوّل وهلة

٦

ومما يجدر بنا ذكرهُ هو ان الكنيسة الشرقيَّة الكلدانيَّة كانت في القرن الاوَّل فائزةً بالامن والسلام بخلاف الكنيسة الغربيَّة التي تجرَّعت مضض الاضطهاد وهي فتاة غضَّة في شرخ شبابها ودامت على هذه الحال في القرون الثلاثة الاولى حتى استتبَّت لها الحرّيَّة في عهد قسطنطين الملك. وذلك لان ملوك المشرق كانوا هم أوَّل من خلع سنَّة شعار الوثنيَّة ونبذ رهبتها واعتنق المسيحيَّة فقد كان الماهل في عراق العجم وفرثية أرطبانُ وفي حزَّة واربيل وسائر بلاد آثور عزّات. وكان عزّات وامه هيلانة يهوديَّين على زعم يوسيفوس ولكن على زعم غيره فالبائن أنهما كانا مسيحيَّين

واخبر اوروسيوس أنَّهُ سنة ستّ واربعين للمسيح حدثت مجاعةٌ شديدة في انحاء سوريَّة كلها وان هيلانة هذه ملكة آثور اتت بالميرة من مصر وقامت باحتياجات نصارى اورشليم وما يليها اذ كانت حينئذ قد تنصَّرت. امَّا الماهل في الرُّها وما يتبعها فكان ابجر المذكور ولم يكن بين هؤلاء الملوك من قاوم النصرانيَّة حتى ان ارطبان ملك فارس الذي ملك منذ سنة ١٦ للمسيح الى سنة ٤٧ قد كان من المتاضلين عنها. وما عتمت السنة ١١٦ ان تنصرم حتى صار على المشرق اضطهاد طرايانوس. وجاء في تواريخ الشهداء اللاتين في التاسع عشر من كانون الثاني ان ماري ومرتا زوجتهُ وابنيه اوديفاق وابابخ استشهدوا في رومية في عهد قلاوديوس (١ لاجل الايمان المسيحي وذلك أنهم ذهبوا من بلادهم الى رومية ميمّمين التبرُّك بذخائر الرسل والشهداء فقُتلوا بالشهادة ثمَّة

وعَقِب ذلك اضطهاد ملوك الفرس ومنذ ذاك الحين اخذت دماء المسيحيين تجري مثل السيل بسيف أُولئك الملوك الوثنيين الطغاة البغاة الجُناة الذين ما كانوا ليعلمون ان كلَّ قطرة قطرت من عنق المسيحي لاجل ايمانهِ ستدعو عشرات من النفوس الى الايمان بل مئات. كما وما كانوا ليفقهون انَّ عهد المسيح مع اتباعه هو ان يعززوا ديانته بالدم والنطع والجلد والفقر والجوع ذلك صكّهم المنيف الذي استلموهُ منهُ مفتوحاً معلوماً مُنذَراً به وهم فرحون لتكون النتيجة كلُّها لله

١) هو قلاوديوس الثاني الذي تولَّى الامر من سنة ٢٦٨ الى ٢٧٠ م

وبالايجاز انَّ ايانهم القويم المكين لم يتزعزع البتَّة . وان عددهم لم ينتقص وذلك لان غيم الوثنيَّة اخذ يتقطَّع شيئاً فشيئاً حتى انقشع عن نور شمس المسيحيَّة في جميع هذه الديار فاخذت تُوسل اشعَّتها الى الكهوف والمغاور التي في الجبال والسهول والحزون . فنشأت ثمَّ الصوامع والمناسك والاديرة والمحابس وامتدَّت وانتشرت انوارها في المشرق كلّه لا يعطلها زخرف هذا العالم ولا تلوي على اباطيله . بل توجَّهت وجهتها وأمَّت غايتها فاخذت تجتمع بالناس للتعليم والتبشير والناس يجتمعون بها للنُسك والتعبُّد . فمن الاديرة خرج الجثالقة المشهورون والاساقفة الغيورون والكهنة الموقَّرون والملافنة البارعون كما قد كانت الاديرة حينئذٍ مركزاً ومناراً للدين ومرفأً للعلوم ومحطّاً لرحال المتعلّمين . ولو سردنا ذكر من اشتهر في الاديرة بالعلم والفضيلة لضاق بنا ذرع هذه النبذة

ولكن يا لحرقة الكبد كم وكم من صحف مشاهير تلك الاعصار قد اندرست ومن آثار تلك المشيَّدات العموميَّة قد اندثرت ممَّا لا تُعرف الآن مواقعها ولم تُنشر وقائعها واليك برهاناً يعرّفك بجمال الكلدان في المشرق وحضارة دينهم ودنياهم وعلومهم وآدابهم ومآثرهم وآثارهم الاديرة الوفيرة التي كانت لهم اجتزأنا بذكر اليسير منها تنبيهاً لفكر القارئ اللبيب

٧

قد ورد في كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي ذكر اديرة كثيرة للكلدان ولو سبرنا الاخبار واستقرينا الآثار لرأينا في كلّ بقعة وفسحة من الارض الكلدانية ديراً . والى الآن حوالي الموصل آثار اديرة قديمة العهد تبعد بعضُها عن بعض مسافة ساعةٍ . منها دير مار ايليّا الحيري وهو غربي الموصل . ودير مار ميخائيل وهو على دجلة فوق الموصل . وفوقهُ بنصف ساعة آثار دير قيل انهُ دير مار سمعان . ومقابل دير مار ميخائيل دير مار كوركيس الباعويري وموقع كليهما على ضفَّتي دجلة . وفوقهُ بساعتين ونصف دير مار ابراهام وهو بين قرية تلكيف وباطنايا . وفي نفس الموصل الدير العالي وآثارهُ الآن باقية وقيل انهُ من حجارته بُني جانب عظيم من السُور . وهكذا اذا سحتَ ومسحتَ الديارَ الكلدانيَّة في عهد عمرانها الديني لم تكن تقطع ميلاً او ميلين الّا ويوافيك ديرٌ او طلل ديرٍ ما عدا الكنائس والمعابد التي لا تُحصى لكثرتها ومن هذا الجدول الذي يحوي النزر منها تفهم ما عدلنا عنهُ خوف الإطالة :

١ : ܕܝܪܐ ܥܠܝܐ اي الدير الاعلى كما نعتهُ ياقوت الحموي وهو واقع في الموصل مُطلّ على دجلة وهو من اعظم اديرة الكلدان واشهرها وفيهِ ترتّب الطقس الكلداني الفرضي المعروف بالدائرة (ܚܘܕܪܐ) وتقسّم الى اسابيع معلومة . وذلك في القرن السابع للمسيح

٢ : دير آبون (ܐܒܘܢ) الواقع بين جزيرة ابن عمر وقرية ثمانين وقد وُصف هذا الدير بخمرهِ الجيّدة لخصب كرومهِ وكثرتها

٣ : دير احويشا (ܚܒܝܫܐ) اي الحبيس وهو في سعرت مدينة بديار بكر قرب أرزن الروم وخيزان وهو مُطلّ على ارزن فيهِ اربعمائة راهب في قلالٍ وحولهُ الكروم والبساتين وهو في نهاية العمارة وخمرهُ مشهورة

٤ . دير باعربا وهو بين الموصل والحديثة بين تكريت والموصل وكان مشحونًا بالرهبان وفيهِ منزل للضيافة

٥ : دير باعنتل وهو بقرب جوسيّة وهي من اعمال حمص على مرحلة منها من طريق دمشق . وقد اشتهر بغرائبهِ كالتصاوير وقصص القدّيسين المحفورة والمنقوشة فيهِ ومن جملتها صورة العذراء البديعة منتصبة كلّما ملتَ الى ناحية كانت عينها اليك

٦ : دير الروم وهو ببغداد في الجانب الشرقي وبناؤهُ عجيب وفيهِ الصور البديعة . وقد تسمّى بهذا الاسم لان أسرى من الروم قُدم بهم الى المهدي وأسكنوا دارًا في هذا الموضع وبُني الديرُ مكانها

٧ : دير عبد المسيح ابن عمرو بن نفيلة وهو بظاهر الحيرة بموضع يقال لهُ الجرعة

٨ : دير العذارى الواقع بين ارض الموصل وبين ارض باجرمى من اعمال الرقة وهو ديرٌ عظيم للنساء اللاتي ترّهبن وزهدنَ في الدنيا . ورُوي ان راهبات هذا الدير بلغهنّ يومًا ان ملكًا لهُ نظر فيهنّ فصُمنَ ثلاثة ايّام وصلّينَ الى الله فدفع عنهنّ كيدهُ بموتهِ ومنذ ذلك الحين تواصل لدى الشرقيين الصيام المعروف بالباعوثة

٩ : دير مار ميخائيل رئيس الملائكة باعلى الموصل على ميل منها مشرف على دجلة يقصدهُ الناس اليومَ في ايّام الربيع لتنسّم ريح الصبا وهو نزهٌ ومُخصبٌ جدًّا

١٠ : دير مار متى او الشيخ متى بشرقي الموصل على جبل شامخ وهو منقور في الصخر ويُعرف بدير القاف لانّ عدد رهبانهِ كان قد انتهى يومًا الى الف راهب وهو

مشرف على رستاق نينوى وصحاري الموصل ذو منظر يفتن البصر وهو اليوم بتلك اليماقبة ١١ : دير نجران باليمن لآل عبد المدان بن الريّان من بني الحرث بن كعب ١٢ : دير هند الصغرى وهو بالحيرة بَنَتْهُ بنت نعمان بن المنذر

١٣ : دير هند الكبرى وهو ايضاً بالحيرة بَنَتْهُ هند امُّ عمرو بن هند الكندية

١٤ : دير نيرب بوزي المجاور قرية قوب أَسَّسهُ مار يوحنَّا زعيم الاساقفة السبعة الذين اسرهم الروم في اضطهاد والنس ١٥ : دير مار افرام وموقعهُ في الوادي العميق ١٦ : دير مار عنانيشوع الشهير ذكرهُ وهو فوق قرية حطارا. ١٧ : دير مار ايشالاها وهو فوق قرية لالش ولعلّها لاشوم ١٨ : دير الطوباوي يشوع رحمهُ المعروف بدير البطمة ١٩ : دير ماري اذي ٢٠ : دير مار غريغور في جوار قرية بريلي ٢١ : دير مار اسحق الناسك في عقار قرية حربي ١٢ : دير مار آبا فوق قرية ساطي ٢٣ : دير مار ابراهام ٢٤ : دير مار أُحأ في نيروا حوالي الزاب ٢٥ : دير غير النائمين وهو على الفرات ٢٦ : دير دورقني المعروف ايضاً بدير مار ماري ٢٧ : دير الصليب الواقع الى جانب نهر الصرصر في قرية تلاّ ٢٨ : دير مار عابدين وهو دير للراهبات ٢٩ : دير الربّان هرمزد الفارسي وهو في جبل القوش يسكنهُ اليوم رهباننا ٣٠ : دير مار بهنام

وللكلدان اديرة غير هذه كثيرة منها قد اختفى عليها الدهر ومحا وعفا اثرها ومنها متهدّمة ومدكوكة ومنها ابنيتها الى اليوم ظاهرة وقد عشَّش فيها البوم ومنها مُعتنى بها ومرمّمة لا تُزار الايوماً واحداً في السنة في عيد صاحب الدير كما يصنع اليوم اهل الموصل فيزورون دير مار ميخائيل في الاحد الخامس من الصوم الكبير. ويقصدون دير مار ايليا الحيري في الاربعاء الاولى من اسابيع موسى. ولهم الآن ايضاً اديرة كثيرة في جبال كردستان بيد النساطرة لا نعرف اسماءها ولا مواقعها كدير مار زيعا وغيره

غيرانَّ الاديرة التي هي الآن آهلة بالرهبان لدى الكلدان الكاثوليك ثلاثة دير مار كوركيس في باعويرا. ودير الربّان هرمزد الفارسي. ودير السيّدة وهو حديثُ بناءٍ رهباننا منذ عهد قريب وفيهم من الرهبان الكهنة والاخوة نحو مائة راهب. وخرج من هذه الاديرة فطاركة واساقفة مشهورون في بدء احتلالها وسكناها. وكان ذلك في مبادئ هذا القرن سنة ١٨٠٨ على يد الأب القديس الفاضل جبرائيل دنبو الماردبني الذي مات

تمثيلاً في القوش على يد راوندوز الكردي الذي نهب دير الربّان هرمزد سنة ١٨٣١

فاين حالنا الحاضرة من حال اولئك الاسلاف القدماء الذين زيّنوا الكنيسة الشرقيّة بتصانيفهم وتآليفهم وعباداتهم ومساعيهم مع كونهم قلّما اسدل الدهر عليهم ستر السلم والرفاه فلننهض العزائم ولنرتق ما فتقهُ الدهر من بُردة حضارة وتديّن آبائنا ولا نتقهقر بل لنسعَ الى ما قدّام ولنرقِّ حالة الخاصّة والعامّة باصلاح شأن المدارس الخصوصيّة والعموميّة وتنشيط الاكليروس ورفع منار الفضيلة والعلم والآداب لغاية تمجيد اسم الله القدوس وتعزيز الديانة المسيحيّة وانتشار الكثلكة متّكلين على ايده تعالى العاوي وهو السميع العليم

قيس الماروني

او اقدم تاريخ للكتبة الموارنة

للاب هنري لامنس اليسوعي

من جملة ما أثبتنا في مقالاتنا التي استنهضنا بها الهمم على درس تاريخنا (المشرق ١: ٢٦١) أنّنا نودّ لو اهتدى اصحاب الجدّ والتنقيب الى وجود التصانيف والكتابات المخطوطة التي استشهد بها الدويهي في تاريخه وكان سنة ابن القلاعي فأخذ عنها فقرات ادرجها في تآليفه. بيد انّ عامل الخوف لا يزال يتنازعنا فيخال لنا انّ كثيرًا من هذه الكنوز تولّت عليها ايدي الضّياع

هذا وبينا كنّا نتصفّح احد مجلّدات المجلّة الاسيويّة الالمانيّة (١ اذ عثرنا على مقاطيع سريانيّة من تاريخ لبعض كتبة الموارنة نعدّهُ كأقدم أثر لهذه الطائفة الشهيرة. وهذه القطع عبارة عن اخبار خمس سنوات تبتدئ من سنة ٩٧٠ للاسكندر الى سنة ٩٧٥ (٦٥٨ الى ٦٦٣ للمسيح) وهي تتضمن قسمًا من الحوادث التي جرت في ايّام معاوية اوّل خلفاء بني أميّة

امّا الكتاب التي نُقلت عنهُ فهو من الجامع السريانيّة المحفوظة في خزانة لندرة

١) المجلّد ٢٩ الصفحة ٨٢ (ZDMG)

وقد وُسم فيها بالعـدد الآتي (Cod. Add. 17121-Wrights'Cat. p. 14).
وهذه النبذة مع قصرها تنبئنا بما كان لبقيَّة هذا التـاريخ المفقود من الخطارة وعظم الشأن. ولا شكَّ في انَّ الاصل كان متَّسع الاخبار كتاريخ تاوُفانس يذكر الوقائع الدينيَّة والامور الدنيويَّة معاً. والدليل على ذلك انَّ القطع الباقية تشتمل على تفاصيل ولطائف مختلفة لانجد لها شبهًا في غيرها من تصانيف ذلك العصر

ولكن مَن هو يا تُرى موَلّف هذا التاريخ وفي ايّ عهد عاش وما كان وطنهُ فتلك اسئلة كأني بالقرَّاء يعرضونها علينا وينتظرون بفروغ الصبر جوابًا عنها

نقول انَّ موَلّف هذا التاريخ ليس لاسمهِ من أثر في النُبَذ الباقية في المجموع المارّ ذكرهُ وذلك بلا مراء ممَّا يؤسف لهُ. ولكن هلمَّ نُجيل رويَّة الفكر ونعتبر حالة الكتاب ومضمون الفصول الواردة الينا فلعلَّنا نستدرك الخلل ونقف على صاحب هذا التأليف

واوَّل ما يمكننا تقريرهُ انَّ واضع هذا التأليف من قدماء الكتبة. والبرهان على ذلك انَّ الكتاب الخطّي الذي جاءت فيهِ هذه اللُمَع التاريخيَّة قديم العهد تشهد عليهِ صورة كتابتهِ العتيقة حتى انَّ العلاَّمة رَيت (Wright) الذي وصف بثلاث مجلَّدات الكتب السريانيَّة المصانة في المتحف البريطاني ذهب الى ان الكتاب خُطَّ في القرن الثامن او التاسع. ولا يبعد هذا القول من بعض الغلوّ كما سيأتي

وزاد المستشرق الشهير نُلدِك انَّ صاحب هذه المقاطيع التي نحن في صددها كان راهبًا ولم يُورد لقولهِ بيّنة

امَّا وطن الكاتب فسوريَّة لانَّ مدار كل اخبارهِ على امور لا تتجاوز قطر الشام وفلسطين. ولا بدع انَّ المؤلّف كان مارونيًا. والدليل على ذلك انَّهُ يقابل بين اليعاقبة وانصار مار مارون « ܒܢܝ̈ ܒܝܬ ܡܪܘܢ » فيصف الاوَّلين بنعوت تُشعر باستيائهِ منهم ونفورهِ عن تعاليمهم ويظهر ميلهُ الى الموارنة ويرتاح الى تعـاليمهم. وهو مع ذلك كاتبٌ ثقة صادقٌ يظهر صدق قولهِ اذا قوبلت عدَّة امور اوردها مع ما كتبهُ غيرهُ من المؤرّخين المعاصرين لهُ

وألطف ما جاء في هذه المقاطيع التي صبرت على فَتك الدهور قصَّة جدالٍ عنيف جرى في سنة ٩٧٠ لليونان (٦٥٨ م) في مجلس الخليفة معاوية بين اليعاقبـة والموارنة وهذا نصُّهُ مع تعريبهِ:

ܫܢܬ ܬܥ ܕܩܘܣܛܢܣ (١ ܝܙ ܒܚܙܝ-
ܪܢ ... ܐܬܘ ܐܦܝܣܩܘܦܐ ܕܝܥܩܘܒܝܐ
ܬܐܘܕܘܪܐ (٢ ܘܣܒܘܟܬ (٣ ܠܕܪܡܣܘܩ ܘܥܒܕܘ
ܕܪܫܐ ܩܕܡ ܡܥܘܝܐ ܥܡ ܡܪܘܢܝܐ ܕܥܠ ܡܠ
ܬܐ ܕܗܝܡܢܘܬܐ. ܘܟܕ ܐܬܙܟܝܘ ܦܩܕ
ܡܥܘܝܐ ܕܢܗܘܘܢ ܝܗܒܝܢ ܟ ܐܠܦܝܢ ܕܝܢܪܝܢ.
ܘܦܩܕ ܠܗܘܢ ܕܢܗܘܘܢ ܫܠܝܐ. ܘܗܘܬ ܥܝܕܐ ܠܗܠܝܢ
ܐܦܝܣܩܘܦܐ ܕܝܥܩܘܒܝܐ ܕܟܠ ܫܢܐ ܕܢܗܘܘܢ
ܗܘ ܢܗܘܘܢ ܝܗܒܝܢ ܠܡܥܘܝܐ ܐܝܟ ܕܠܐ ܢܫܒܘܩ
ܠܗܘܢ ܐܝܕܐ ܕܢܪܕܘܦ ܐܢܘܢ ܥܕܬܐ(٤

وفي سنة ٩٧٠ وهي ١٧ من ملك قسطنطس(١ في شهر حزيران ... اتى اسقفا اليعاقبة تاودروس(٢ وسبوخت(٣ الى دمشق وصنعا جدالًا امام معاوية مع اصحاب مار مارون في امر الايمان. ولما غُلبا امر معاوية ان يدفعا له عشرين الف دينار ووصاهما ان يبقيا في الهدوّ. وجرت العادة مذ ذاك لاساقفة اليعاقبة ان يدفعوا كل سنة مثل هذا المبلغ لمعاوية لئلا يكفَّ عنهم يدهُ فيتعقَّبهم ابناء الكنيسة(٤

ولا حاجة هنا لاثبات بقيَّة الاخبار التي تحتوي عليها هذه القطع التاريخيَّة. ومن احبَّ الاطلاع عليها فليطلبها في المجلَّة المذكورة. وما اوردناه آنفًا دليل على اهميَّة هذا التاريخ وداعٍ لاسفنا على فقد الكتاب وجهلنا لاسم مؤلّفهِ

وهاك ما نعرضهُ لحلّ المشكل الاخير اعني تعريف صاحب التاريخ المنوَّه عنهُ. قد جاء في كتابٍ للمسعودي اسمهُ (كتاب التنبيه والاشراف طُبع حديثًا في ليدن ونُقل الى الفرنسيَّة في السنة الماضية فقرة عن قيس الماروني هذا حرفها (في الصفحة ١٥٣):

« ولهُ (اي قيس) كتاب حسن في التاريخ وابتداء الخليقة والانبياء والكتب والمدن والامم وملوك الروم وغيرهم واخبارهم انتهى بتصنيفهِ الى خلافة المكتفي. ولم ارَ للمارونيَّة في هذا المعنى كتابًا مؤلَّفًا غيره »

---

١) هو قسطنطس الثاني الذي ملك من سنة ٦٤١ الى ٦٦٨

٢) نظنّ ان تاودورس هذا انَّما هو بطريرك اليعاقبة الذي ذكره ابن العبري في تاريخهِ الكنسيّ الجزء الاوَّل الصفحة ٢٧٩ (ed. Lamy) ولم يدعهُ المؤلف بطريركًا لانَّهُ من البدعة اليعقوبيَّة

٣) وقد صُحّف اسمهُ في الاصل بسبخوت والصواب ما ذكرنا. والمرجح ان سبوخت هذا هو اسقف قنسرين الذي ورد ذكرهُ في التاريخ نفسهِ (ص ٢٧٦)

٤) اي الكنيسة الحقيقيَّة التي ينتسب اليها المؤلف. وفي هذه النبذة شاهد جليل على ان الموارنة لم يقبلوا قط اضاليل اليعاقبة

(قلنا) انّ قول المسعودي اجال بفكرنا انهُ من المحتمل ان يكون قيس المذكور صاحب التاريخ السرياني الذي وصفناه . والحقُّ يقال انَّ القطع المنشورة منهُ توافق كل الموافقة ما كتبهُ المسعودي عن قيس الاروني

وكأني بمعترض يحتج عليَّ بحجّتين فيقول . اوَّلًا : كيف يمكن ان يكون قيس الاروني صاحب هذا التاريخ وقيس عاش في عهد المكتفي (١ كما يؤخذ من قول المسعودي . امَّا الكتاب المخطوط الذي وردت فيهِ المقاطيع السريانيَّة فهو يرتقي على زعم رَيت الى القرن الثامن او التاسع . ويقول المعترض ثانيًا انَّ المسعوديَّ يذكر تاريخًا عربيًّا وهذه الفقرات انَّما هي سريانيَّة

نجيب على الاعتراض الاوَّل : انَّ الكتاب الذي وصفهُ رَيت ليس بمؤرَّخ وقد بنى زعمهُ على صورة خطّهِ وورقهِ والحكم على ذلك ليس بقطعيّ وانَّما هو حدسٌ ليس إلَّا . وزد على ذلك انَّ المكتفي تولّى الخلافة في غرَّة القرن العاشر فيكون حكم رَيت قريبًا الى الصواب

امَّا الاعتراض الثاني فجوابنا عليهِ انَّ المسعوديَّ لا يقول انَّ قيسًا هذا كتب بالعربيَّة ولعلَّهُ عرف تاريخهُ ممَّا وُصف لهُ او من ترجمة عربيَّة كان يتداولها نصارى القرن العاشر

وما يزيد في ترجيح رأينا بان قيسًا هذا هو صاحب التاريخ السرياني السابق ذكرهُ قول المسعوديّ انهُ لم يعرف للموارنة في التاريخ غير كتاب واحد والمسعوديّ رجلٌ كثير الاطّلاع فلو كان لبعض الموارنة تاريخ مشهور لما فاتهُ الامر لاسيا انهُ كان قريب العهد من قيس الاروني اذ عاش بعدهُ بقليل

فترى اذن انَّ القطع التاريخيَّة التي وصفناها هي لقيس المذكور ونبدي الامل بان يبحث على بقيَّتها الموارنة فلعلَّهم يحيون بذلك اثرًا جليلًا يشهد لطائفتهم بالفضل العميم بعد ان طمستهُ الايَّام

---

١) بويع للمكتفي في ربيع الآخر من سنة ٢٨٩ هـ (٩٠١ للمسيح) وتوفي في ذي القعدة سنة ٢٩٥ (٩٠٧)

الترمومتر او مقياس الحرارة

للاب أكسيس مالُون اليسوعيّ

من جملة ما اثبت المشرق من المقالات المفيدة في اعداد سنته الاولى (ص ٨١٧ و ٨٩٢) فصلٌ مطوَّل في البارومتر اي ميزان ضغط الهواء الجوّي. الّا ان هذا المقياس لا يَفضلهُ ارباب الطبيعيَّات عن اداةٍ أُخرى يُجرون بها اختباراتهم اليوميَّة. ولذلك ترى المشرق قد افرد لكليهما في آخر كلّ اعداده قائمة خاصَّة. نعني بقولنا الترمومتر او ميزان الحرارة. فاحببنا ان نبحث في هذا كما سبق البحث في ذاك فيستوفي كلّ موضوع حقَّهُ

وقد قسمنا مطلبنا هذا ثلاثة اقسام ليتيسَّر للمطالع ادراك فوائدها ففي القسم الاوَّل نبسط القول في المبدإ الذي تستند اليه ميزانيَّة الحرارة. ثم نتخلَّص منهُ الى الفصل الثاني فنبيّن كيف يجهَّز الترمومتر. ونختم المقالة بتعداد انواع الموازين الترمومتريَّة واوصافها

١ مبدأ الترمومتر

الترمومتر كما يدلُّ عليه اسمهُ اليونانيّ هو مقياس الحرارة. وفي تعيين درجات هذا العامل المعظم منافع كبرى. ولذلك يُعدُّ اكتشاف هذا الميزان من اهمّ الاكتشافات التي توصَّل اليها العقل البشريّ في توالي الدهور لما ترتَّب عليه من النتائج الخطيرة

ولا بُدَّ لفهم ذلك من ذكرِ شيءٍ من احوال الحرارة ومفاعيلها العجيبة في عالم الكون

انّ المفعول الاوَّل الذي لا يخفى عن ذي عيان انَّ الحرارة هي العامل الكبير في اطوار المخلوقات المعروفة بالممالك الثلاث. فلولا الحرارة لاصبحت سيَّارتنا كبعض الاجرام العلويَّة التي ضربها البرد فضُعقت وامتنع على كلّ حيٍّ سكناها. فهي الحرارة تصيب البذور الميتة في مستودع الارض فتُحييها وتجري في كلّ اجزائها مائيَّةً تنعشها فتنميها الى ان تبلغ بها كمالها من أغنائها واوراقها وزهورها وأثمارها. وهي الحرارة تبثّ في الحيوان القوَّة والنشاط وتُسيل في عروقهِ دماً مُحيياً وروحاً جديدة تردُّ عنهُ سلطان الموت

هذا وانَّ لعنصر الحرارة مفعولًا آخر ليس هو دون السابق خطارةً واهميَّة وان كان خفيًا تدركهُ الحواسّ ببعض الاختبار أَلَا وهو امتداد الاجسام بنموّ حرارتها. وهذه الخاصَّة العجيبة هي التي يستند اليها صنع الترمومتر فرأينا ان نوسع الكلام في وصفها

اعلم انَّ الاجساد سواءٌ كانت جامدةً ام سائلة ام غازيَّة تزيد حجماً وتنبسط وتتخلخل اجزاؤُها اذا ما زيد في حرارتها وهي بخلاف ذلك تنقبض وتتقلَّص بالبرودة

ذلك مبدأ يسهل تحقيقهُ بالامتحان فخذ مثلًا جُزْأً (قضيباً) من الحديد وقس طولهُ ثم اعرضهُ على النار برهةً واذرعهُ ثانيةً تجدهُ اطول منهُ قبل احمائهِ. وعلى هذا النمط اذا احميتَ كُرَةً مصمتة من النحاس زادت حجماً بالحرارة

وهذه الخاصَّة لا يجهلها ارباب الصناعة فالحدَّاد مثلًا اذا حاول تصفيح دولاب بالحديد يعمد الى طَوق اصغر من الدولاب قطرًا فيحميهِ الى ان تتَّسع دائرتهُ ثم يجعلهُ على الدولاب فاذا برد لَصق بالدولاب وزادهُ صلابةً

وكذلك ترى انَّ مجهّزي الاسلاك الحديديَّة لا يضمُّون طرف كلّ جُزء بالآخر بل يتركون بينهما خللًا لئلاَّ تتحدَّب الصفائح الحديديَّة او تنحني في أَبان القيظ بسبب الحرارة عند امتداد هذه الاسلاك. ولولا تلافي هذا الامر لحدثت لقطارات السكَّة الحديديَّة آفات عديدة

وقولنا عن امتداد الأَجسام الصُّلبة اجلى بياناً واظهر فعلًا في المائعات. فاذا اخذتَ مثلًا وعاءً من الزجاج (اطلب الشكل الاوَّل) يتَّصل بهِ انبوب دقيق ذو منفذٍ في اعلاه وملأْتَ هذا الاناء بجسم سيَّال كالخمر او الزيت الى نصف الانبوب عند (ا) ثمَّ احميتَ الاناء او غطستهُ في ماء حارّ فانك ترى المائع يصعد في الانبوب الى جهة (ب) لضيق الاناء عليهِ. فاذا برد الاناء هبط المائع الى حيث كان سابقًا



الشكل الاول

بيد انَّ لهذا المبدإ شذوذًا في نواميس الطبيعة وذلك في الماء فانَّهُ اذا أُحمي وهو في درجة الصفر فلا يمتدّ بل يتقبَّض حتى يبلغ الدرجة الرابعة فوق الصفر فاذا تجاوز هذا الحدّ تخلخل كبقيَّة المائعات. فيكون اذن معظم كثافة الماء عند بلوغهِ نحو الدرجة ٤ اعني ان ليترًا من الماء اثقل وزنًا في هذه الدرجة منهُ في ايّ حالة كانت ويزيد تمدُّدًا سواء زِيد في حرارتهِ او برودتهِ.

وايمُ الله فانَّ هذا من اغرب الامور التي تشهد بالدليل على حكمة الباري· ولولا ذلك لعادت سكنى بلادٍ كثيرة مستحيلةً · أفلا ترى انَّهُ لو كان الماء يزيد ثقلًا بزيادة برودتهِ لهبط قسمُهُ البارد في قعر البحرِ وعلا القسم الحارُّ منهُ الى ان يبرد ايضاً فيهبط فوق الطبقة الاولى وهكذا بالتتابع الى ان يجمد البحرِ كلُّهُ فتزيد بذلك برودة الارض الى حدّ مفرط · بيد ان الامر بخلاف ذلك.فانَّ الماء اذا بردَ خفَّ ولذلك يبقى على سطح البحرِ كالزيت الذي يعلو فوق الخلّ فتجمد طبقتهُ العُليا دون السُّفلى · فسبحان الخالق فهو حقّاً اللطيف بعبادهِ

امَّا اذا اعتبرنا الغازات وتمدّدها فنجد انَّها تتخلخل بالحرارة اكثر من الاجسام الصلبة ومن الموائع السائلة · والدليل على ذلك لن تأخذ اناء يتَّصل بهِ أنبوب أفقيّ ينفذ في كليهما الهواء (راجع الشكل الثاني) فاذا ادخلت في الانبوب قليلًا من الزئبق (ز) وقبضت بيدكَ على الانبوب فبمجرد حرارة الكفّ ترى الزئبق يندفع الى (زَ) وربَّما خرج من الانبوب · وذلك لتخلخل هواء الوعاء بداعي حرارة اليد



الشكل الثاني

وهذه الاختبارات كلّها تنعكس بتبريد الاجسام كما لا يخفى

ولعلَّ سائلًا يسألُ فيقول انَّ هذه الظواهر لا شكَّ فيها ولكن انَّى تأتي للحرارة تلك القوَّة التي تنفذ هكذا في الاجسام فتمدّد اقسامها

نجيب انَّ ذلك سرٌّ من اسرار الطبيعة طالما شغل افكار العلماء فذهبوا حلّ رموزهِ مذاهب شتى · وقد شاع من ذلك مذهبان لتعريف اصل الحرارة واسبابها

فالمذهب الاوّل يعلّل الحرارة بوجود مانع ماديّ ذي دقَّة فائقة تنبسط ذرَّاتهُ وتمتدُّ في كلّ انحاء المعمور · وهو قول قدماء الفلاسفة من اليونان كأبيكور وديمقريت ودافع عنهُ من المحدثين نيوتن الطبيعيّ الشهير

امَّا المذهب الثاني فانَّهُ يساوي الحرارة بالنور ويقابل بين كُنه طبعها وطبعهِ · وعليهِ فانَّ انصار هذا الرأي يرتأون ان الحرارة تموّجٌ في دقائق الاجسام · فيقولون انَّ العناصر اذا حُلَّت الى اركانها الاصليَّة وُجدت اصولها غايةً في اللطف والدقَّة الَّا انَّها متَّصفةٌ بحركة ذات سرعة غريبة منها تحصل الحرارة · وانَّ هذه الحركة تنتشر في الاجسام

بواسطة الاثير كما يَنتشر الصوت بواسطة تموُّجات الهواء. والاثير يشغل كلَّ حيّز بين دقائق الاجسام فاذا تحرَّك حرَّكها بحركته فتحصل الحرارة. وعليهِ فان إحماء الجسم انَّما هو زيادة في سرعة واتساع التموُّج الجاري على دقائقهِ الجوهريَّة. كما لو اردت تشديد صوت الوتر وارتفاع نغمتهِ زدتَ في عدد نقراتهِ وسعتها وذلك ممَّا يقتضي زيادة في المسافة. فهكذا الاجسام اذا أُحميت تخلخلت اجزاؤها واتسعت. الى ان يزيد الجسمُ كلُّهُ حجماً باتساعها

وهذا المذهب كان سبق اليهِ ارسطو الفيلسوف وقد رجَّحهُ اليوم علماء عصرنا. وهو بالحقيقة رأيٌ جدير بالاعتبار يشهد لمن ابتكرهُ بسموّ المدارك وتوقُّد الفهم لانَّهُ بيَّن سبب الظواهر العجيبة التي وصفناها في الاجسام الصلبة والمائعات والغازات. فانَّ دقائق الاجسام الصلبة كالمعادن وغيرها كثيرة الالتصاق بعضها ببعض ولذلك لا تقوى الحرارة على فصلها ودفع بعضها عن بعض الَّا بعُنف. بخلاف المائعات فانَّ دقائقها اقلّ التحاماً ببعضها فتفصلها الحرارة بسرعة. امَّا الغازات فانَّ تخلخلها ازيد من الاجسام الصلبة والسوائل معاً ولذا تراها تمتدُّ بحرارة قليلة امتداداً عظيماً

وهذا الرأي مع رجحانهِ لا يتجاوز حدَّ الظنّ والتخمين وعلى كلٍّ فانَّ امتداد الاجسام بعامل الحرارة من الامور التي لا تُنكر. وليس الترمومتر سوى تخصيص هذا المبدإ المقرَّر. وذلك لانَّ الترمومتر وهو كما سبق مقياس الحرارة يعرّف امتداد حجم الاجسام بعامل الحرارة وتقلُّصها بهبوط درجات هذا العامل فيها. ولو امكنَّا الوقوف على اختلاف حجم الاجسام لوقفنا ايضاً بكلّ ضبط على زيادة حرارتها او نقصانها

وكأنّي بالقارئ يعترض عليَّ قائلاً: أَفليس يكفي لمعرفة حرارة الاجسام ان يمسَّها الانسان فيعرف باللمس أباردةٌ هي ام حارَّةٌ

الجواب على هذا انَّ حاسَّة اللمس لا تشعر بالاختلافات الدقيقة الطارئة على الاجسام اللهمَّ الَّا ان تزيد حرارتها او برودتها زيادةً معتبرة

ثمَّ انَّهُ من المعلوم انَّ تأثُّر جسمنا بالحرارة او البرودة يختلف باختلاف حالة الحواس. فاغمس مثلاً احدى يديك في الماء الحارّ والاخرى في الماء البارد ثمَّ اقبض على جسمٍ معتدل الحرارة فيظهر لك هذا الجسم حارّاً وبارداً معاً

وليس الامر كذلك اذا اعتبرنا حجم الاجسام فانَّهُ مقرَّر انَّ ادنى زيادةٍ فيهِ

تدلُّ على ارتفاع الحرارة. ولكن ما الطريقة لتعيين هذا الاختلاف في حجم الاجسام الوسيلة الى ذلك ان يُتخذ جسمٌ ما فيكون امتداده مقياساً يُعرض عليهِ امتداد بقيَّة الاجسام فتقاس عليهِ

مثال ذلك ان تأخذ انبوباً يشتمل على الكحول فتغمسهُ في مائع ما. فان رأيت الكحول يمتدُّ او يتقلَّص عرفت انَّ المائع اشدُّ حرارة منهُ او بعكس ذلك ابرد من الكحول. وذلك وفقاً للناموس الشائع في الطبيعة وهو ان الاجسام اذا كانت مختلفة الحرارة فضُمَّت الى بعضها تتساوى بينها درجة حرارتها فيأخذ البارد قسماً من حرارة الحارّ الى ان تتعادل كلّها وتتوازن في حرارتها. كما أنك لو سكبتَ ماء في وعاء ما يتصل بأوعية اخرى فالماء يصعد في كلّ الآنية على التساوي مهما كان شكل هذه الآنية او حجمها

ولعلَّك تقول ان كان الامر كذلك فانَّ المادة التي تؤخذ كوحدة قياس لا تدلُّ على حرارة الاجسام مطلقاً بل تبين نسبة حرارتها الى هذه المادَّة القياسية

نُجيب انهُ يمكننا ايضاً الوقوف على حرارة الاجسام المطلقة كما سيأتي ولكن في الاستعمال يكفينا ان نعرف نسبة حرارة هذه الاجسام الى مقياس معلوم لانَّ غاية ما نقصد عادةً ان نعلم نسبةَ الحرارة بين البلاد والازمنة المختلفة أفيكون مثلاً يومنا الحاضر احرَّ او ابرد من يومنا السالف وهل حرارة الهواء في الاسكندريَّة اشدُّ منها في بيروت. وهذه المطالب يسهل الجوابُ عنها باتخاذ بعض الاجسام كمقياس اي باصطناع الترمومتر

ولكن تُرى ايًّا من الاجسام نختارهُ ليكون مرجعاً ومثالاً نعود اليهِ في المقابلة ؟ نقول انَّ لاختيار هذه المادَّة القياسيَّة شروطاً لا بُدَّ من استيفائها. الشرط الاوَّل ان يكون القياس عامًّا يصلح لكلّ البلاد او على الاقلّ لاكثرها كما فعل العلماء باتخاذ المتر لقياس المساحات لأنَّهُ يصلح لها جميعاً دون استثناء

والشرط الثاني ان تكون المادَّة المختارة لقياس الحرارة كثيرة الشعور للحرارة او البرودة بحيث تمتدّ او تتقلَّص بادنى تغيير يطرأ على الاجساد المحدقة بها

والشرط الثالث ان يكون تمدُّد هذا الجسم المثاليّ قياسيًّا ثابتًا

وهذه الشروط لا تصحُّ في الاجسام الصلبة كالحديد والخشب لقلَّة تمدُّدها فضلاً عن أنَّها اذا انبسطت لا تعود الى هيئتها الاولى لما يصيب تركيبها العنصري من التغيير

امّا الغازات فانّها تستوفي الشروط السابقة لاسيما انّها كثيرة الشعور والتقلّبات الجوّيّة فلا يُعبأ بامتداد آلتها المشتملة عليها ولذلك قد آثر ارباب الطبيعيّات «ترمومتر الهواء» لاختباراتهم الدقيقة. ألّا انّ هذه الادوات تقتضي دقّةً في العمل وزمناً طويلاً ولذلك عدل عن استعمالها اكثرُ الناس وآثروا تجهيز الترمومتر بالمائعات السيّالة

والحقّ يُقال انّ السوائل احسن الموادّ لتهيئة مقياس الحرارة وذلك لانّ شعورها بطوارئ الجوّ ثابت مقرّر. ثمّ انّ المائعات يمكن تصفيتها بحيث تصير اهلاً للمقابلة بين بعضها

وقد فُضّل الزئبق على بقيّة السوائل لسببين: الاوّل لانّ تمدّدهُ قياسيّ وذلك انّهُ لا تُجمدهُ البرودة الى ٣٩ — ولا يتحوّل الى بخار سوى في الدرجة ٣٥٠. ويبقى على تمدّد مستقيم من ٣٩ — الى ١٠٠ وذلك كافٍ لمعرفة حرارة او برودة اكثر الاجسام في اغلب البلاد. والسبب الثاني لانّ تصفية الزئبق قريبة المنال اكثر من غيرهِ فيصير بذلك اصلح للقياس لتساوي اجزائهِ العنصريّة

امّا درجات الحرارة المرتفعة والبرودة المفرطة فقد جُهّز لها ادوات خاصّة سيأتي الكلام عنها ان شاء الله (ستأتي البقية)

كتاب تاريخ بيروت

لصالح بن يحيى (تابع لما سبق)

ومن مدح ناصرَ الدين محمدُ بن ابي الجود ولهُ فيهِ قصائد مطوّلة جيّدة... (١

(64ᵇ) ومدحهُ ايضاً سليمان بن يمن بقصيدة منها:

وانْ حلَّ في إعبنهِ عزَّ جنابُها   وان حلَّ في بيروت فاقت على مصرِ
وأصبح ذاك الثّغر يفترّ ضاحكاً   بعدلِ اميرِ الغربِ مبتسمَ الثّغرِ

---

١) وقد ذكر منها المؤلف قصيدتين الّا انّهما كثيرتا الاغلاط النحويّة تناقضان قواعد القريض فلم نرَ في ايرادها افادةً

ومدحهُ احمد التونسيّ المغربيّ فقال من قصيدة (٢ 64):

فنحسبهُ عند المكارم حاتمًا ونحسبهُ يوم الكريهة عنترا
يفوق بحسن الرأي قيسًا وفي العلى كُلَيبًا وفي العزّ المنّع قيصرا

ولاحمد بن يعيش من بني يعيش قضاة حلب قصيدة طويلة اختصرتُ منها هذه الابيات (٣ 65):

اسرفتَ يا دهرُ بإهراق دم المتيَّم
فقد كفى ما قد جرى من جور دهر مؤلم
بعد الشباب والصبا وعيشيَ المنعَّم
والجاه والمال الذي لاحد لم يَدُم
رُميتُ في مهالك الشيب وذلّ الهرَم
وخانني الخلُّ الذي مازج لحمي ودمي
ما زال هذا الدهر غدَّارًا باهل الكرم
حتى لقد جرَّعني دهري كأس العلقم
صبرًا على صروفه وجوره والنقَم
قال لي مُعلِّمٌ والعلمُ بالتعلُّم
هاجر الى الحسن بن خُضر الفاضل المكرَّم
واسعَ الى ابوابه فهي محلُّ الحرم (٢ 65)
واقصدْ جنابًا مُرصدًا لقاصدٍ ومنتمي
يلقاكَ منهُ بِشرهُ بثغره المبتسم
يا ناصر الايمان والدين القويم الاقوم
يا ابن الكرام الاكرمين يا وفيَّ الذمم

وهي قصيدة طويلة بالغ فيها في المدح اختصرتُ منها على هذا القدر. ومن مدائح الشريف ابرهيم العراقيّ قولهُ من قصيدة:

مولى النُّهى لو رأى عمروٌ شجاعتهُ وعنترٌ اضحيا عبدَيه في البَشَر
وحاتمٌ لو رأى او معنُ طائلهُ سارا بمدحته في البدو والحَضَر
وقيسُ ذو الرأي مع قسّ بن ساعدةٍ لو فاوضاهُ أحالا النُّطق بالحَصَر

والفضلُ مستترٌ في طيّ راحتهِ ... وحاتمُ الطائي فيهِ غير مستترِ
مولّى بهِ الفضلُ يحيا خالدًا ابدًا ... وجعفرٌ يدهُ كالغيثِ منهمرِ
وكلّ ما قد سمعنا في الانام عن م ... القوم الكرام رأينا فيهِ بالنظرِ
وليس سمعٌ كرأي العين منحسبًا ... بين الانام وليس الخُبرُ كالخبَرِ
انّ الحسين بن سعد الدين مفتخرًا ... بفضلهِ وسواهُ غيرُ مفتخرِ
حوى فضائل من جودٍ ومن كرمٍ ... قليلها في السرايا غير مُنحصرِ
وسطّر الناسُ منها بعض جملتها ... اغنتهمُ عن احاديثٍ وعن سِيَرِ

وابرهيم هذا هو ابن اسمعيل بن الحسن الحسينيّ العراقيّ الذي وضع لناصر الدين الحسين كتاب « رياض الجنان ورياضة الجَنان »(١. وهو الذي خمّس الدريديّة وجعلها مديحًا في ناصر الدين ووالدهِ سعد الدين. ولابرهيم المذكور قصائد كثيرة في امراء الغرب جمعها وعملها ديوانًا كبيرًا. وشعرهُ جيّد مليح (66)

وبالجملة ان مدائح ناصر الدين كثيرة لأنهُ كان مقصدًا للوارد والصادر ذا مكارم ورئاسة وسياسة. شاد البيت وسادهُ ورغب في حُسن الكتابة والبلاغة وجمع الكتب فأنتمَ بهِ البيتُ فحسّنوا كتابتهم وبلاغتهم وترايدت محاسنُهم ونظرُهم في العلوم واتقان الصنائع

بقيّة اخبار ناصر الدين الحسين

[(٢ وكان ناصر الدين كثير اسداء المعروف الى من يستحقّهُ. فمن ذلك انهُ كان يُجري على المحتاجين من ذوي البيوت والاصول رواتبَ من خبزٍ وإدامٍ كلّ ليلة جمعة ويُوصل الى كلّ منهم مرتّبًا يكفيهِ الى الجمعة الآتية وكان يحنّ على ذوي آصرتهِ. ولمّا حدثت حركة الجنويّة في بيروت واخذوا قرقور الكتيلان(٣ الزموهُ واقاربَهُ بالسُكنى في بيروت مدّةً بعد ما كانوا يحلّونها ابدالًا بالنوبة. ثمّ بعد ذلك استقرّوا على عادتهم كما كانوا قد رتّبوا بعد الرُّوك

[وكان ناصر الدين المذكور اذا ركب من بيروت لا يلتفت الى ورائهِ سوى في

---

١) جاء في حاشية الكتاب ما حرفهُ: « وهذا الكتاب يدلّ على علم مصنّفهِ وزيادة ذكائهِ وجودة فطنتهِ وهو كتاب مليحٌ جدًا جمع فيهِ فنونًا كثيرة للغاية من حكم واحاديث وامثال ومواعظ وسير وعلوم واشياء كثيرة ممّا ترشد النفوس وتهذّبها وقد اجاد في جمعهِ وتأليفهِ. وشعر ابرهيم يشهد لهُ بالفضل والمحاسن والفصاحة والبلاغة »

٢) ما ذكرناهُ هنا بين معكّفين ورد على هامش الاصل وقد نبّه المؤلف عليهِ بانّهُ من المتن

٣) راجع المشرق ١ : ٢٢٢

موضعين احدهما عند الحنيّة قبلما تطلع الجبل والثاني عند الشاغور (١ لينظر من انقطع من جماعته وغلمانه]. وعُمّر ناصر الدين زمانًا طويلًا في عيش راغد ودهر مساعد. وكانت أيّامُهُ غُرًّا واضحة الابتسام

وكان مولدهُ حسبَ ما وُجد بخطّهِ بين خطوط السّلف في ليلة السبت اليوم الثاني والعشرين من محرَّم سنة ثمان وستين وستمائة (١٢٦٩م). وكانت وفاتُهُ حسبَ ما اثبتهُ السلفُ في يوم الثلثاء ثالث عشر شوّال سنة احدى وخمسين وسبعمائة (١٣٥٠) الموافق لرابع عشر كانون الاوّل عند حلول الشمس ببرج الجدي. وتأخّر دفنهُ الى بُكرة الاربعاء.

واوّل منشور كُتب لناصر الدين تاريخهُ ثالث شهر ربيع الاوّل سنة احدى وتسعين وستمائة (١٢٩٢م) قُلّد بهِ الإمرة الصغيرة التي كانت لوالدهِ سعد الدين خُضر وكانت خرجت عنهُ في فتوح طرابلس في ايّام الملك المنصور قلاوون واعيدت باسم ناصر الدين بالمنشور المذكور في ايّام الملك الاشرف خليل بن قلاوون وقد تقدّم ذكرُ ذلك (٢

ثم صارت لهُ الإمرة الكبيرة عن شمس الدين كرامة بن بُحتر ابن زين الدين العراموني في اوائل سنة سبع وسبعمائة (١٣٠٧م) في ايّام الملك الناصر محمد بن قلاوون. ووقفت على قائمة بخطّ ناصر الدين بما غرمهُ من التقادم والكُلَف عند اخذهِ (66ᵛ) الامارة وهو جملةٌ مستكثرة. ثم بعد تقلُّدهِ الإمرة المذكورة ترل عن الامرة الصغيرة التي كانت بيدهِ لأخيهِ عزّ الدين حسن ابن سعد الدين ولعلَم الدين سليمان بن غلاب الرمطوني الآتي ذكرُهُ ان شاء الله تعالى. وكان ترولهُ عن ذلك لهما في اوائل سنة تسع وسبعمائة (١٣٠٩م). واستمرَّ ناصر الدين على الامرة الكبيرة المذكورة الى شهر رمضان سنة تسع واربعين وسبعمائة (١٣٤٨م) ترل عنها لولدهِ الاكبر زين الدين صالح بن الحسين عند ما كبر في السنّ وضعفت حركتهُ وقصد الراحة (٣

١) لعلّهُ يريد بلاد الشاغور التي بجهات عكّة

٢) راجع الصفحة ٨٩٩ من السنة الاولى لمشرق

٣) جاء في حاشية المؤلّف: «وقفتُ ايضًا على تسع مطالعات كتبها ناصر الدين الى المباشرين بدمشق تتضمّن انّهُ ترل لولدهِ عن إقطاعهِ ويوصي بولدهِ. والظاهر انّهُ أبطل بعضها او كتب غيرها والله اعلم. ووقفتُ على ترول بخطّ ناصر الدين لولدهِ زين الدين بالاقطاع واشترط فيهِ على ولدهِ ان يفي ديونهُ ويقوم بهِ وبعائلتهِ»

وتزوّج ناصر الدين امرأتين الأُولى بنت زين الدين صالح بن عليّ بن بحتر امير الغرب (١ والثانية بنت اسمعيل بن هلال من الاشرفيَّة. واسمعيل المذكور كان من اعيان الناس وكان من ذوي الايسار. حُكي عنهُ انَّ السلطان (٢ نزل على المسطبة التي كانت معروفة بمنزلة السلاطين قبالة الاشرفيَّة فعمل لهُ اسمعيل ضيافةً فكان صبوح البكرة مائة خروف مشويّ. فظنَّهُ السلطان انّهُ السماط. ثمَّ بعد ساعة او ساعتين حضر السماط الكبير فتعجب السلطان ورسم لهُ بخلعةٍ فوقف في طريقهِ ،مقطع الاشرفيَّة كيلا تكثر عليهِ منافس اسميل المذكور

واستخدم ناصر الدين من الاشرفيَّة ثلثة اجنادٍ منهم محمد بن اسمعيل بن هلال المذكور وكان يُعرف بمحمد شُقير. وسليمان بن فيَّاض بن عهم (كذا) ونفرًا آخر لم اعرف اسمهُ

اسماء اولاد ناصر الدين

هذه اسماء اولاد ناصر الدين (وربّما انهُ كان قد رُزق (67ʳ) بناتٍ قبل اولاده الذكور من بنت زين الدين) فمنهم بُحتر سُمّي باسم خالهِ بحتر زين الدين وتوفي صبيًّا حدَثَ السنّ نهار الاثنين في رابع عشر ربيع الآخر سنة تسع وسبع مائة (١٣٠٩م).

وذكروا انَّ عمره كان ستّ سنين لمَّا توفي وانّهُ كان يركب الخيل ويركضها وانَّ الناس ما رأوا صبيًا أنجب منهُ. ورثاهُ ابوهُ بعدَّة قصائد فمن ذلك قصيدةٍ:

يا بحترًا يا مهجتي يامن بهِ اصبحتُ ثاكلْ
سوَّدت أيامي فلم أدرِ الغدوَّ من الاصائلْ
وأطلتَ ليلاتي وكنَّـ ـم بك قصيراتٍ قلائلْ
ووسيلتي قد كنت انتَ فخُيّبت فيك الوسائلْ

ولهُ ايضًا غير ولدهِ بحتر المذكور زين الدين صالح. واربع بنات وهنَّ: غالية تزوَّجت

---

١) ورد في حاشية: «توفيت امرأة ناصر الدين الحسين الاولى وهي ابنة زين الدين بن علي نهار السبت في الحادي والعشرين من ربيع الاوَّل من سنة ست وسبعمائة (١٣٠٧ م) بمرض الزنطاريَّة وانَّها صادقة بنت نجم الدين محمد بن حجي بن كرامة عمَّة ناصر الدين الحسين المذكور»

٢) وفي ذيل الكتاب: «ولعلَّ السلطان المذكور كان محمد بن قلاوون»

عزّ الدين حسين ابن شرف الدين علي بن زين الدين صالح بن علي في السابع من شهر محرّم سنة ثمان وسبعمائة (١٣٠٨ م). وياقوتة تزوّجت سيف الدين مفرج ابن بدر الدين يوسف ابن زين الدين عليّ في السابع عشر ربيع الاوّل سنة تسع وسبعمائة (١٣٠٩ م). ولؤلؤة تزوّجت عماد الدين موسى (١ ابن بدر الدين يوسف ابن زين الدين ابن علي في الرابع عشر جمادى الاخرى سنة سبع عشرة وسبعمائة (١٣١٧ م) وتوفّيت في الخامس والعشرين ذي الحجّة سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة (١٣٢٢ م). وزكيّة تزوّجت شرف الدين ابا القاسم بن سيف الدين برق بن ثوار في الثالث عشر شوال سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة. فهؤلاء جميعهم أُمهم بنت زين الدين بن علي ابن بحتر الكبير. واماً غير المذكورين فهم تقيّ الدين ابرهيم بن الحسين واختهُ زوجة صفيّ الدين حسين ابن شجاع الدين (67) عبد الرحمن ابن جمال الدين حجّي. ثم اختها زوجة فخر الدين عبد الحميد ابن شهاب الدين احمد ابن جمال الدين حجّي. ثم اختهم صادقة تزوّجها عماد الدين موسى ابن بدر الدين يوسف ابن زين الدين عليّ. وقد تقدَّم ذكر زواجه بلؤلؤة بنت ناصر الدين وانَّها توفّيت سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة (١٣٢٢م) وعند وفاتها كان لها اخت صغيرة في المهد (٢ فجرى بين والدها ناصر الدين وعماد الدين موسى المذكورة. وادَّة اوجبت تأخير عماد الدين عن الزواج حتى كبرت الصغيرة المذكورة فتزوّجها. فهؤلاء أُمهم بنت اسمعيل بن هلال المذكور. وكان ناصر الدين يسمح على بناتهِ بالمال ويتكلّف عليهنَّ جمةً. وقد رأيتُ بخطهِ شيئًا يدلُّ على ذلك

[وكان٣) سعد الدين خضر قبل وفاتهِ اختصّ ناصر الدين بنصف موجودهِ اجمع اختصاصاً لهُ دون اخوتهِ الخمسة الذين سيأتي ذكرهم ان شاء الله. وكذلك فعل هو قبل وفاتهِ فاختصّ ولدهُ زين الدين بنصف مالهِ وربع جميع موجودهِ اختصاصاً لهُ دون اخيهِ واخوتهِ. وجعل لاخيهِ تقيّ الدين ابرهيم ولاخوتهِ الربع فقط] (ستأتي البقيَّة)

---

١) جاء في ذيل الكتاب: «عماد الدين موسى المذكور امّهُ زين الدار بنت سعد الدين وهي اخت ناصر الدين الحسين»

٢) حاشية المؤلف: «هذه الصغيرة المذكورة كان اسمها صادقة تزوَّجها عماد الدين في الثامن من ربيع الاوَّل سنة ست وثلاثين وسبعمائة (١٣٣٥م)»

٣) ما ذُكر بين معكّفين ورد في ذيل الكتاب وقد نبَّه المؤلف على وضعهِ في الاصل

السفر العَجب الى بلاد الذهب

للاب اميل رينو اليسوعي (تابع لما سبق)

الفصل العاشر

في معادن الذهب

وكان الهواء وتنتشر ثقيلًا والجوّ معتمًا وجرس كنيسة القديس بولس يدقّ دقّة النّزع التي كان صوتها يتّصل الى كلّ الاحياء المجاورة ناشرًا عليها راية الغمّ والاسف. وكان المرض قد اشتدّ على فاضل في تلك الساعة وخيل انهُ دخل في النزع. امّا نسيب فكان قائمًا حذاء سرير المريض ينتظر الدقيقة الاخيرة من حياته حتى يُغمض عينيه.

وكانت ميس جني تتردّد الى حجرة المريض وهي تطأ الارض همسًا لان الحادث الذي اصاب فاضلًا أنساها ما كانت قد نطقت به من الكلام الجافي لاوّل مرّة. امّا فاضل الذي كان غائبًا عن الحسّ وغير مُدرك شيئًا ممّا هو جار حولهُ فكان يغرغر غرغرة الموت وكلّما تنفّس مرّة يعلو صدره علوًّا مفرطًا ثم ينخفض مصحوبًا بحشرجة النّزع فيتوجّع لهُ القلب الصخري. وكان رقّاص الساعة يدقّ في خلال السكوت كأنّهُ يقيس كلّ ثانية من تلك الحياة التي كانت على وشك الانطفاء. وكانت الساعات تنقضي واحدة بعد أُخرى مسمعةً دقّاتها الحزنة في حجرة المحتضر

ثم اقبل الليل بمخاوفه وظلماته فانحنى رأس فاضل وانطبق فمهُ واخذهُ السبات. وظنّ الحاضرون انهُ لا يفيق فيرى صباح اليوم التالي لان كلّ شيء كان يدلّ على قرب قضاء نحبه

ولمّا لاح الصباح وفد الطبيب باكرًا بينما كانت الطيور تغرّد في الاشجار ووقف بمركبته امام دار نسيب. ثم نزل وصعد السُلّم دون ان يسأل احدًا وفي يقينه انهُ يُشاهد فاضلًا جثّةً باردةً فيوقّع العلم بوفاته ثم يمضي الى معالجة من لديهِ من المرضى ولا يعود يفتكر في هذا السوري الذي القتهُ التقادير في ارض الغربة

بيد انهُ ما فتح حجرة فاضل والقى ببصره على السرير حتى شاهد من كان قد تركهُ في حالة النزع يبتسم لهُ. فتعجّب من هذا التغيّر السريع الذي لم يكن ليتوقّعهُ. وكان

هذا التحسُّن في حالة فاضل عرض لهُ اثناء الليل فان قوة جسمهِ تغلَّبت على الداء ونحو الساعة الحادية عشرة مساء رقد رقادًا هادئًا ثم استيقظ في الصباح وقد تجددت قوتهُ ونجا من الخطر المحدق بحياتهِ

وكانت مدَّة نقاهتهِ من المرض اقصر مما كان يُظن وقد ساعدتهُ على ذلك بنيتهُ القويَّة وما مضى زمن يسير حتى خرج فاضل في يوم صحا جوهُ وصفا اديمهُ يتنشَّق الهواء النقي مع كلٍّ من المستر نسيب وقرينتهِ في الجنينة المحاذية لدارها. وكان النسيم وتتنشر يتلاعب بالازهار واغصان الشجر وُيسمع صوت خرير الماء في الحوض بينما كانت ميس جني تترنَّم ببعض الاناشيد المطربة كأنها تريد ان تمحو بذلك سابق مساوئها

ولما عادت العافية الى فاضل همَّ بالسفر الى حيث تستدعيهِ اشغال نسيب في معادن كاليفورنية. وكان على قدر تقدُّمهِ في الصحَّة يستثقل البقاء في ذاك البيت الذي عومل فيهِ بكلّ اعزاز واكرام وشفقة طول وقت مرضهِ فضلًا عن انهُ كان يودُّ ان يصير غنيًّا و يحصِّل في اقرب وقت ثروة كثروة نسيب

فلما كان يوم الثلثاء خامس عشر كانون الثاني نحو الساعة الثامنة صباحًا سار كل من نسيب وفاضل مسرعين الى المينا يتحدثان بهيآت امورهما التجاريَّة. وكانت قد دارت سوق الاعمال على الرصيف واخذ العمَّال في رفع البضائع من البحر وانزال غيرها الى السفن. وكانت قرقعة الصناديق وصياح العَتَلة وصفير الموكلين بهم تملأ الفضاء وتُصمُّ الآذان. أما المذكوران فانسلا في وسط الزحام وركبا باخرة اسمها « براغدون » وما اقاما على ظهرها برهة يشاهدان مدينة سان فرنسيسكو حتى اقلعت بهما تشقُّ العباب

وكان سفرهما قصيرًا لان الباخرة ما كادت تدور حول خليج سان فرنسيسكو حتى انتهت الى خليج سان بابلو الذي يُشرف عليهِ الجبل المعروف بجبل الشيطان ولهذا الجبل قمة مستديرة معممة دائمًا بالثلوج. فنزل كلاهما في مدينة « ستوكتون » الواقعة بقرب مصبّ نهري سان يواكيم وريو سكرامنتو

وستوكتون هذه محطّ رحال المعدّنين لقرب وقوعها من مناجم الذهب ولذلك قد تكاثرت فيها المطاعم والخانات والفنادق يأوي اليها الغرباء والاجانب

وفي جوار المدينة مستشفى رحب الاقناء يُمرَّض بهِ المصابون بشعورهم. والحقُّ يقال انَّ داء الجنون آفةٌ ضربت اطنابها على اهل هذه الاصقاع فاذاقت الذين منهم امرَّ

العذاب . وليس جنونهم مساً خفيفاً او كلماً في عقلهم بل مرضاً عقاماً يعودون بسببه ويهيجون فلا يقوى احد على ضبطهم ولولا شعار يلبسونهُ كرهاً يمنع ايديهم عن الحركة لما استطاع احد ان يقوم بازائهم

اما سبب توارد هذا الداء على اهل المدينة فانما هو تغلّب الاهواء عليهم فانّ اكثر من يقصدون هذه المناجم يعيشون عيشة البهائم لا يردعهم رادع عن شهواتهم القبيحة فيفقدون بعد قليل من الزمن كلّ شعائر الدين والادب ويتجاوزون كلّ طور في سبيل الشرّ . فانّهم بعد ان عاشوا سابقاً في الفقر المدقع لا يحسنون التصرّف بالذهب الذي يجمعونهُ بشغلهم في المعادن بل يعيثون بالهم ويتلفونهُ في اللعب والملاهي والعيشة الخلاعيَّة ولاسيما في شرب المسكرات فيصبحون في حالة اسوإ من حالتهم الاولى . وتراهم لا يرتاحون الى مساكنة اهلهم وقد ضعفت فيهم رغبة الشغل او خارت عنهُ قواهم . ولمَّا لم يجدوا باباً للتملّص من هذه الدواهي يستولي عليهم اليأس ويستسلمون للقنوط . وكثيراً ما يلتجئون الى الانتحار فراراً من هذه البلايا . وقسمٌ منهم تنهكهم الامراض العصبيَّة وتُطبق عليهم الادواء الشديدة كالنقرس والاستسقاء فيُحملون الى المستشفيات ويموتون فيها بعيداً عن الاهل والاحباب

الآن انّ هذه الاسقام لا تُعدُّ في جانب الداء الذي مرَّ ذكرهُ اعني فَقد العقل . كيف لا وهو السّقم يحطُّ برتبة الانسان وينزع عنهُ ما يفرزهُ عن البهائم او قُل بالاحرى انهُ يُضحي ادنى من الحيوان شأناً وأحطّ قدراً لانّ للحيوان وهماً وذكاء طبيعياً يمكّنان بهِ عمَّا يضرُّهُ ويصرفان همّتهُ الى منافع ذاتهِ . والمصاب بالجنون لا يقوى على شيء من ذلك فهو اشبهُ بوحش ضارٍ لا يردُّهُ عن كيده الّا القوَّة الجبريَّة

وكان المستشفى المطلّ على مدينة ستركتن من هذا الصّنف . فعاينهُ فاضل وهو لم يدرِ انهُ مأوى لاولئك البائسين . وانّ فيهِ بعضاً من السوريين مواطنيهِ لا سنَدَ لهم ولا معين كانوا قدموا مثلهُ هذه البلاد كلفاً بالذهب فخسروا مالهم ودينهم وشرفهم واضحى موتهم خيراً من حياتهم

وكان لا يخالج فكر فاضل في ذاك الحين الّا الغنى القريب والحصول على ثروة واسعة تجديهِ يوماً هناء العيش في وطنهِ

ففي صباح ذلك النهار ركب المستر نسيب وفاضل عَرَبةً من العَرَبات المختصَّة

بشركة المناجم. وكان مسيرهما في وسط سهول وبطائح مخصبة وحدائق نضرة فيها ضروب من الشجر الذي خُصَّت بهِ قارة اميركة دون غيرها. وفي وسط هذه الجنان مصانع وقصور لاعيان البلد كان فاضل يسرّح فيها ابصارهُ ويتمنَّى لنفسهِ نظيرها

وكانت عربتهما تواجه في سيرها عجلات كبرى كقطارات السكك الحديدية يقطرها ثمانية او عشرة ازواج من البغال. وهذه العجلات تنقل من ستوكتن الى مناجم الذهب كلَّ ما يحتاج اليهِ المعدنون من اللوازم كأدوات الشغل والبارود والمآكل. وهذه العجلات ربَّما حملت اثقالاً ضخمةً تبلغ نحو الف كيلوغرام

ولمَّا صار وقت الظهر نزل المسافران في محطَّة هنالك للغداء. فنفضا ثيابهما من غبرة الطريق المتكاثفة واغتسلا ثم دخلا المطعم. فلم يمضِ عليهما ربع الساعة حتى اشار اليهما الحوذيّ انهُ حان الوقت لاستئناف السير. فاجاب المستر نسيب الى سؤْلهِ وهو يعلم انَّ الاميركيين يعدُّون الوقت كالفضَّة لا يحبُّون فقد شيء منهُ

فواصلا اذن سيرهما الحثيث وأويا مساء ذلك النهار الى فندق يُدعى كريمين هوس (Cremean House). ولم يزالا يسيران على هذا النمط مدَّة ثلاثة أيام حتى بلغا وادي مكس ولس كريكس (Mac Wells Creeks) وهناك « بلاد الذهب »

وكان وصول نسيب وفاضل الى تلك الانحاء قبل غروب الشمس بقليل فنزلا في مأوًى هنالك واستأجرا لهما فيهِ مكانًا. وبعد هنيهة من الراحة خرج كلاهما لينظرا المعدّنين. فلمَّا قربا منهم كانت الشمس أزفت الأفول فرمت باشعَّتها الاخيرة على تلك التربة الممزوجة بشذرات الذهب فما كاد فاضل يراها. تتلألأ حتى اسرع الى بعض العملة وطلب منهُ حفنة فعمل فيها منظرهُ عملًا انساهُ كلَّ اتعابهِ السابقة ومحنهِ الماضية كأنَّهُ بلغ أرض الميعاد لم يبقَ لهُ سوى التنعُّم بارفاق الحياة وبذخ العيش (ستأتي البقيَّة)

شَذَرَاتٌ

العرباء في فرنسة بلغ في العام المنصرم عدد الغرباء في فرنسة ١,١٣٠,٢٠٠ أُحصي منهم ٤٦٥,٨٧٠ بلجكيًا و ٢٨٦,٠٤٢ المانيًا. امَّا الفرنسيُّون الذين يعيشون خارج وطنهم فلا يتجاوز عددهم ٥١٧,٠٠٠ واهل فرنسة اقلّ الناس

تغرُّباً في البلاد الاجنبيَّة لا يرضون عن وطنهم بديلاً

الدرَّاجات فيها — تعدَّدت الدرَّاجات في اوربَّة حتى شاع استعمالها في كلّ بلادها. وفي العام الماضي كان عددها بالغاً في فرنسة وحدها ٤٠٨,٨٦٩ درَّاجة على هيئات مختلفة يدفع اصحابها من الضرائب للحكومة ٤,٠٦٠,٨٠٠ فرنك

البيض في باريس — بيع منهُ في باريس في السنة ١٨٩٧ نحو ٥٣٠,٠٠٠,٠٠٠ بمعدَّل ثمن ٨٥ فرنكاً في كلّ الف

صورة الكرة الارضيَّة لتدريس الجغرافية — اخترع احد اساتذة الجغرافية في باريس صورة جديدة للكرة الارضيَّة لتدريس علم الجغرافية وذلك انهُ صنعها على هيئة المظلَّات تُفتح وتضمّ كأنها شمسيَّة. فاذا نُشرت ظهرت كرةً فيها خطوط الطول والعرض وهيئة البحار والقارات الخمس مع اسماء بلادها وحواضرها وكلّ ذلك بالوان مختلفة واذا بطل استعمالها أُطبقت وغُلقت بغلاف بحيث يسهل نقلها من مكان الى آخر دون كلفة كبرى

البنّ في المعمور — يؤخذ من مجلَّة تجاريَّة انكليزيَّة انَّ مُجتنى البنّ سنويًّا في المعمور يبلغ ١٢,٠٠٠,٠٠٠ كيس اعني ٧٢٦,٠٠٠,٠٠٠ كيلوغرام يُجمع ثُلثا هذا المستغَلّ من بلاد البرازيل. وتجارة البنّ تجارة رابحة يروج سوقها في العواصم الكبرى لاسيما في نيويرك وهمبرغ وامستردام ولندرة وانفرس. وما يُنفق من البنّ في شرب القهوة كلّ سنة نحو ٧٧٩,٠٠٠,٠٠٠ كيلوغرام. وللولايات المتَّحدة السبق على كل الدول في كثرة شربها القهوة فانَّها وحدها انفقت في السنة المنصرمة ٢٩٢,٠٠٠,٠٠٠ كيلوغرام من البنّ. فممَّا تقدَّم ترى ما لهذه التجارة من الرواج. فيا حبَّذا لو سعى اهل بلادنا في زراعة البنّ لما تجديهم من الارباح الطائلة

أكل السمك — لا يخفى ان المادَّة المغذّية في المآكل هي الازوت فاذا كثر في طعام ما زاد نفعهُ للصحَّة. وقد بيَّنت الاختبارات المعدَّدة انَّ السمك من هذا القبيل افضل من اللحم لانَّ الموادّ الازوتيَّة فيهِ اكثر من اللحوم. وفي أكل السمك فائدة اخرى وهي انَّهُ لا يخلى من مادَّة الفسفور الذي يدخل في تركيب الهيكل البشري كالعظام والدماغ. وفي هذا شاهد جديد على فضل الصوم والانقطاع عن مأكل اللحم في بعض فصول السنة فتأمَّل

تنظيف الورق من بُقَع الحبر — اذا دخل المنص في تركيب الحبر يتوارى بقعهُ بنقطة من الخلّ. واذا رُكّب من الانيلين يِزُل الموضع بقليل من الكلور

منع الحديد من الصدأ — اذا ركب الصدأ الحديدَ فلا يلبث ان يفسد ويتلف فلا يصلح لحاجة وذلك لانَّ التأكسُد يتمّم دقائق الحديد فيضحي متفتتًا لا صلابة لهُ. وقد اخترع الكيميون الحدثون مزيجًا يدخل فيهِ الصوّان يطلونهُ ويغمسون فيهِ الحديد او يطلونهُ بهِ فيتشربهُ معدن الحديد بحيث يدخل في كلّ اجزائهِ فيصبح صلبًا لا يعمل فيه اكسيجين الهواء. فيبقى ما شاء الله دون ان يصاب بأذى

وصفة لقتل النمل — خذ اناءً مملوءًا من الماء واجعل فيهِ قليلًا من العسل بقدر قِمع الخيّاط (كشتبان) فيتوارد عليهِ النمل ويغرق في الماء

الطاعون والفار والبراغيث — انَّ الهوامّ من الآفات التي ابتُلي بها البشر وهي فضلًا عن أذاها الخاص كثيرًا ما تنفث في جسم الانسان جراثيم الادواء المُضالة. وكان الدكتور كوخ منذ سنتين تحقّق انَّ البعوض ينقل في بعض نواحي ايطالية جراثيم حتى المستنقعات المعروفة بالملاريا فيعدي بها الانسان. وفي الاشهر المتأخرة بيَّن الدكتور سيمُند ان عدوى الطاعون اوَّل ما تنشأ تصيب الفار. ثمَّ يتعدَّى منها الى الانسان بواسطة البراغيث فان البراغيث تمتصُّ دم الفأر والجرذان بنَهَم ثمَّ تنزل على الانسان ضِنًا مكروهًا فتجيز اليهِ جراثيم الموتان

دواء الفيلوكسيرة — اتصل العلاَّمة هنري كوبين (H. Coupin) الى علاج الفيلوكسيرة بدواء افضى استعمالهُ الى نتائج حسنة وذلك انهُ يعمد الى مزيج «سيانور البوطاسا» يحلهُ بالماء بنسبة واحد في المئة ثمَّ يسقي بهذا المحلول جذور الكرم فتُقتَل هوامّ الفيلوكسيرة بعد قليل. ويجوز ان يؤخذ منهُ قطع صلبة تُلقى في الكرم. فاذا نزل المطر تحلّل وتشرَّبتهُ الارض فيقتل دوَيبات الفيلوكسيرة. وهذا المحلول من السموم التي لا تضرُّ بالنبات لكنّهُ قتّال للهوامّ

علاج الحرق — اوصى الدكتور لَرْجر (Larger) باستعمال كلورات البوطاسا لعلاج الحرق. فاذا غُمس العضو المحروق في هذا المزيج بعد حلّهِ في الماء لا يلبث ان يخمد وجعهُ. واذا لم يوجد منهُ محلول فيذرّ منهُ حفنةٌ في اناء ثمَّ يُصفَّى بعد انحلال الملح ويوضع فيهِ العضو الموجوع فيبرأ

اسئلة واجوبة

س عرض علينا جناب الاديب الياس افندي فتال الاسئلة الآتية: ١ هل يمكن الانسان ان يكون صاحب شرف من دون ان يكون متمسكًا في الدين اعني هل يقوم الشرف بلا دين. ٢ هل عمَّ الطوفان كل الدنيا حتى قارة اميركة. ٣ كيف انقطعت العلائق بين اميركة وبقيَّة العالم. ٤ هل انتشرت النصرانيَّة في تلك الاقاصي قبل كريستوف كولومب

١ الشرف والدين

ج اذا اريد بالشرف بعض الاستقامة أي في السيرة بين الناس وحسن التصرُّف في المعاملات فانَّ هذا ممكنٌ لان الذي لا دين لهُ ربَّما انقاد الى بعض الاعتبارات البشريَّة التي من شأنها ان تردعهُ حينًا ما عمَّا يشين بهِ شرفهُ كحسن السمعة بين الناس وراحة الفكر والمضرَّات التي تنتج من سوء العمل الى غير ذلك. الا انَّ هذا من النوادر لانَّ الاعتبارات السابق ذكرها كثيرًا ما تناقض اهواء القلب والهوى اعمى كما لا يخفى فاذا ثار ثائر الهوى لا يكبح جماح الانسان عنانٌ سوى الدين ودواعيهِ. امَّا اذا اريد بالشرف التحلّي بالفضائل والصلاح وعمل المبرَّات والقيام بالواجبات فانَّ ذلك لا يُنال الَّا بالدين

٢ هل عمَّ الطوفان كلَّ الدنيا حتَّى قارة اميركة

ونجيب على السؤال الثاني انَّ الطوفان العمومي أي عمَّ كلَّ البلاد التي كان يسكنها البشر لانَّهُ كان عقابًا اوجبهُ الله عزَّ وجل على الجبلة الآدميَّة لما اقترفتهُ من المآثم. امَّا البلاد التي لم يكُ بعدُ احتلَّها البشر فانَّهُ الارجح انَّ الطوفان لم يعمَّها. والمظنون انَّ اميركة وقتئذٍ لم تكن مأهولة

٣ العلائق بين اميركة وبقيَّة العالم في القرون السالفة

ج دخل الناس قارة اميركة من جهتين: من ناحية الشمال بعد ان قطعوا بوغاس بيرنغ الفاصل آسيَّة عن أوربَّة وليست المسافة بينهما كبيرة. ولعلَّ هذا البوغاس لم يكُ بعد موجودًا لمَّا اجتاز البشر الى قارة اميركة لانَّ الجيولوجيين يثبتون انَّ اميركة كانت متَّصلة بقارة آسيَّة في القرون السالفة. ودخلوا من ناحية الجنوب حيث يُظنّ ان بعض السفَّارة قدموا اليها بحرًا. امَّا انقطاع العلائق بين اميركة وبقيَّة الارض من هذه الجهة فلانَّ

فنّ البحارة لم يبلغ بعدُ كمالهُ كما جرى في الاعصار المتأخرة فكان السَّفر الى جهات اميركا ممرضًا الى اخطار جمّة. وبسبب انقطاع هذه العلائق من جهة الشمال فلان شرقيّ شمالي آسيَّة لم يسكنهُ سوى قبائل سادت عليها الهمجيَّة لم يكد العالم المتمدّن يعرف من امرها شيئًا فضلًا عن انّ تلك البلاد يمرس فيها البرد لا يسكنها من البشر الّا القليلون

٤ انتشار النصرانيَّة في اميركة قبل كريستوف كولومب

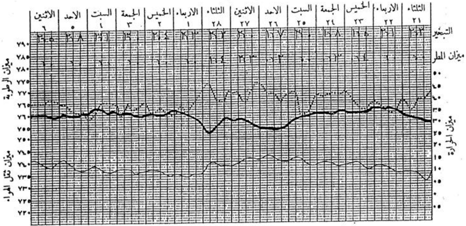
قرأنا مقالةً ضافيةً لاحد الآباء اليسوعيين يثبت فيها انّ النصرانيَّة كانت دخلت اميركة قبل كريستوف كولومب وقد استند لبيان رأيه الى اقاويل بعض الآباء الاقدمين كترتليان في القرن الثاني للمسيح وقد قال في ردّهِ على اليهود « انّ الدين المسيحي انتشر بين امم كثيرة واقاليم وجزائر عديدة لا تُحصى وهي مجهولة عندنا ». ثمّ ذكر صاحب المقالة انّ الاسبان عند دخولهم اميركة وجدوا آثارًا تدلُّ على النصرانيَّة كالصلبان ورموز اتَّخذها قدماء المسيحيين وعادات عُرف بها النصارى وقد قفوا على ذلك خصوصًا في بلاد المكسيك. ومن المقرَّر انَّهُ كان في بلاد غروبنلاد اساقفة في القرن الثاني عشر

س وسالنا جناب الفاضل الاديب الخواجا حبيب زيَّات: « مَن من السيَّاح اوَّل من ذكر منزل القديس يوحنّا الدمشقيّ وعيّن موقعهُ وما هي اهمّ التآليف التي ذُكرت فيا ترجمة هذا القديس وعدَّدت فيها كتاباتهِ بالتفصيل »

منزل القديس يوحنَّا الدمشقيّ وتآليفهُ

ج عُرف منزل القديس يوحنَّا الدمشقي في عاصمة الشام بتقليد كان شائعًا بين اهل المدينة لمَّا ابتاعهُ اليسوعيُّون في سنة ١٨٧٥. وكان الروم الكاثوليك يقصدون هذا المقام في يوم عيد القديس يحتفلون بهِ تداسًا على موجب طقسهم. وما يؤيد هذا التقليد انَّ المسلمين في دمشق كانوا يدعون هذا الموضع بيت منصور ومنصور كما اثبتنا في ترجمة القديس (ص ٩) اسم والدهِ. امَّا تآليف هذا الملفان الجليل شرف الكنيسة اليونانيَّة فانَّها تنيف على خمسين كتابًا بين قصير ومطوَّل وكلُّها منشورة بالطبع في اليونانيَّة واللاتينيَّة تشتمل على مجلَّدين ضخمين هما الـ ٩٤ والـ ٩٥ من مجموع اعمال الآباء اليونان للاب مين. وفي اوَّلها مقالة مُسهبة تتضمَّن كلَّ ما ورد في كتب القدماء عن القديس يوحنَّا واخبارهِ العجيبة. وقد قام بنشر كلّ ذلك العلاَّمة لوكيان (Lequien) من رهبنة القديس عبد الاحد صاحب تأليف « الشرق المسيحيّ » ل. ش

قائمة للآثار الجوية من ٢١ شباط الى ٦ اذار ١٨٩٦



انَّ الخطَّ الضخم (ــــ) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر – والخطّ الرفيع المتابع (ــــ) على ميزان الحرارة (ترمومتر) امَّا الخطّ المنقَّط (٠٠٠٠٠) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) – والاعداد الدالَّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيِّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعة بالملمترات وعُشر الملمترات